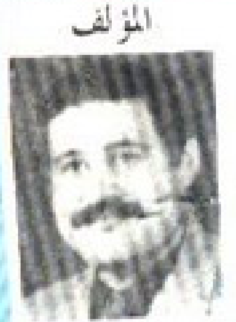



سلسلة روايات
ملف المستقبل
١٩
عيون الهلاك

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

• عيون الهلاك •

- هل يمكن لبشر أن يعود إلى الحياة بعد الموت بإرادته ؟
- ما سرّ العيون التى تبرق فى الظلام، وتبعث الهلاك فيمن تريد ؟
- تُرَى ، هل ينجح (نور) وفريقه فى تحدّى هذا الرعب ، وكشف لغز عيون الهلاك ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حل اللّغز .

٩

العدد القادم (العقول المعدنية)

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

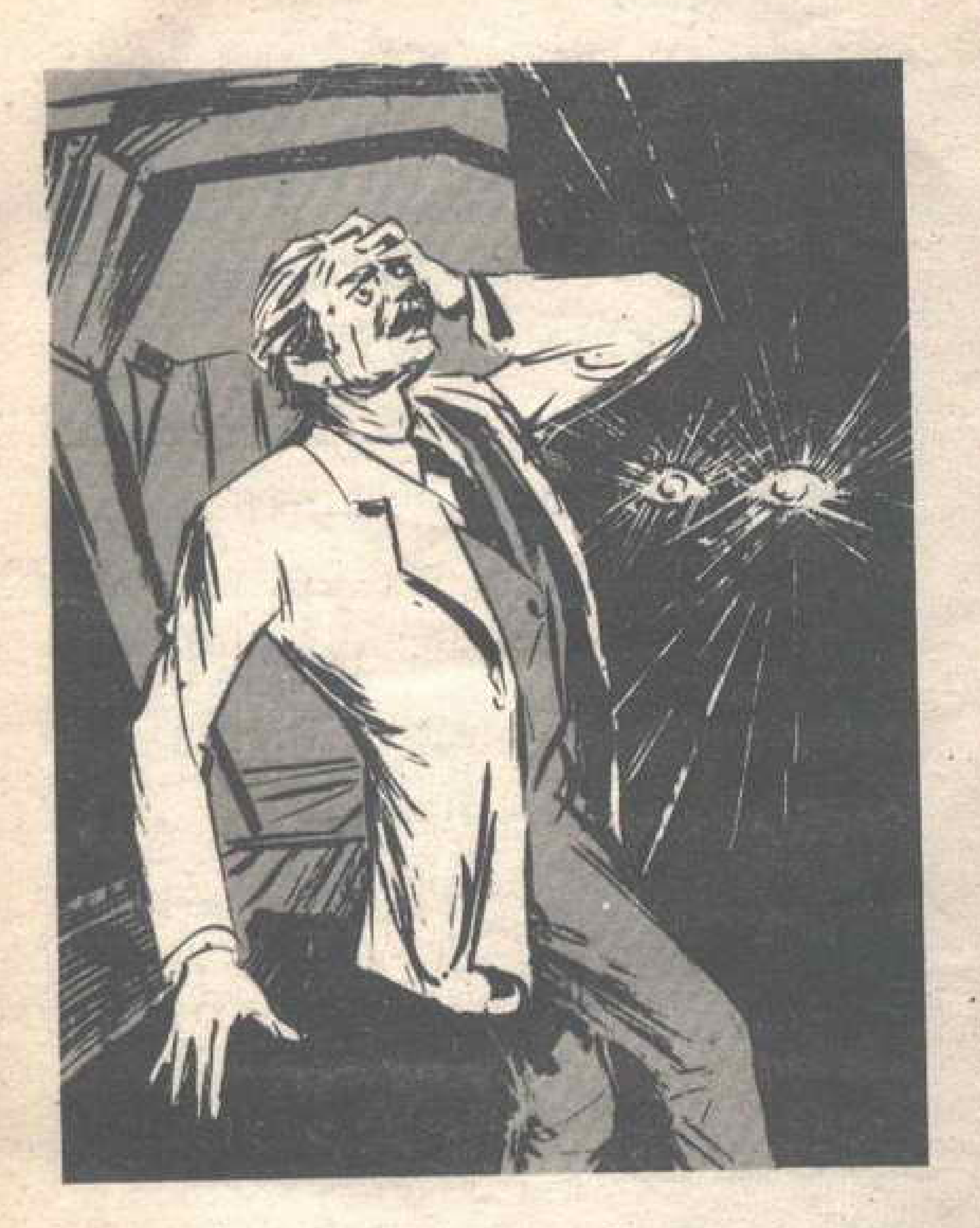


١ ــ العين القاتلة ..

توقّفت سيارة المستشار (فؤاد المصرى) ، رئيس المحكمة الدستورية العليا أمام مدخل منزله ، وترجّل هو منها بوقاره المعروف ، وجسده الممشوق ، برغم سنوات عمره التى قاربت السبعين ، ومسَّ زرًّا صغيرًا بداخلها قبل أن يغلق بابها ، ثم تمتم بلهجة أقرب إلى السخرية :

ــ يا للتكنولوجيا !! لم نكن نحظى بمثل وسائل الإنذار المتقدّمة هذه ، إبان شبابى فى سبعينات القرن العشرين .

ثم فرد قامته بمرونة ، وسار بخطواته الواسعة المشهورة ، مجتازًا الممرّ الصغير ، الخافت الضوء ، الذى يصل إلى باب منزله ، وهو يدندن بأحد الألحان الشعبية التى نالت شهرة واسعة فى الربع الأخير من القرن العشرين .. كان من الواضح أنه هادئ البال ، صافى الفكر ، فى هذا المساء بالذات .



خيل إليه أن العينين ازدادتا تألقًا ، وتحركت
قدماه أخيرًا ، فتراجع بخطوات مرتبكة إلى الوراء ..

وفجأة تسمَّرت قدماه فى موضعهما ، وسرَت فى جسده بأكمله رجفة قوية ، وصلت حتى أطراف أصابعه ، واتسعت عيناه عن آخرها ، وجفَّ لعابه ، حتى عجزت الكلمات عن المرور من بين شفتيه ، وتعلَّق بصره فى ذعر بزوج من الأعين ، تبرقان كقطع من الماس ، فى أشد أجزاء الممر القصير إظلامًا .

تبيَّن المستشار (فؤاد) على ضوء الممر الشديد الخفوت ، أن العينين البراقتين هما جزء من جسد شخص ، يقف ساكنًا هادئًا باردًا كالثلج ، فحاول أن يسأله عمن يكون ، ولكن الكلمات خانته ، ولم يسفر عن محاولته سوى ارتجاف شديد فى شفتيه .

وخُيِّل إليه أن العينين ازدادتا تألقًا ، وتحركت قدماه أخيرًا ، فتراجع بخطوات مرتبكة إلى الوراء ، ولكنه توقَّف فجأة ، واختلط الذعر بالألم فى عينيه ، وارتجف رأسه بشدة ، وكادت عيناه تقفزان من محجريهما ، عندما أطلق أخيرًا صرخة قوية عالية ، تردَّد صداها فى أرجاء المكان ، ثم سقط على وجهه كقطعة من الحجر .

تثاءب الرائد (نور الدين) بملل ، وهو يتابع ببصره بعض النتائج التى تراصّت بحروف مضيئة صغيرة ، على شاشة كمبيوتر الإدارة العامة للمخابرات العلمية المصرية ، ثم قال محدِّثًا الجهاز الذى أمامه :

— أليست عملية مملّة بالله عليك ؟

ولو أن رجلًا من القرن العشرين ، قُدِّر له الانتقال إلى عصر (نور) فى أوائل القرن الحادى والعشرين ، لقفز من مكانه دهشة وذعرًا ، عندما أجاب الكمبيوتر بصوته المعدنىّ الآلى الهادئ :

— الملل واحد من المشاعر التى تملأ نفوس البشر وحدهم ، وهو يأتى عند القيام بعمل روتينى فترة طويلة ، ولكنه ينتفى إذا ما كان الشخص الذى يقوم بالعمل روتينيًا بطبعه ، أو لو أنه حاول البحث عن زوايا أخرى للنظر إلى الأمور .

ابتسم (نور) ، وقال للكمبيوتر :

— شكرًا يا صديقى .. إننى لم أتكيّف بعد مع جيلك من الآليات المتحدِّثة .

أجاب الكمبيوتر :

— لقد تم اختراع آلات الكمبيوتر المتحدِّثة والمفكرة ، مع بداية القرن العشرين ، وتعدّ هذه الخطوة من أهم ....

ضغط (نور) بملل على زر الإيقاف فى الكمبيوتر ، فبتر المحادثة ، ثم نهض وعاد يتثاءب وهو يقول :

— ربّاه !! هل توقفت الظواهر العجيبة ، والألغاز العلمية المثيرة ؟ ... إن العمل داخل أروقة الإدارة يكاد يقتلنى من شدة الملل .

وكأنما استجابت السماء لرغبة (نور) ، فقد ارتفع فى الحجرة فجأة أزيز مألوف ، وسمع (نور) صوت القائد الأعلى يقول بصوته الهادئ الوقور :

— رائد (نور الدين محمود) ، عليك الحضور إلى حجرة مكتبى الخاص فى الحال .

تهلّلتْ أسارير (نور) ، وهو يؤدى التحية العسكرية على عجل ، ويسرع الخُطا مغادرًا غرفة الكمبيوتر ، ومنطلقًا داخل الممر الموصّل إلى حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية .

وبرغم أن (نور) من أشهر شخصيات المخابرات العلمية ، إلا أن إجراءات الأمن حتَّمت قيامهم بفحص بطاقته الإليكترونية الخاصة ، وبصمات أصابعه ، وتوزيع المسام العرقية فى جسده ، للتحقُّق من شخصيته قبل مقابلته للقائد الأعلى شخصيًا .. ولكن من حسن الحظ أن هذه الإجراءات بأكملها ، لا تستغرق سوى ثلاث دقائق على أقصى تقدير ، باستخدام أجهزة الفحص المتطوِّرة فى القرن الواحد والعشرين .

وأخيرًا اجتاز (نور) باب حجرة القائد الأعلى ، ووقف أمامه منتصبًا ، وهو يؤدِّى التحية العسكرية بثبات قائلًا :

ــ الرائد (نور الدين) فى غرفتك يا سيِّدى .

أشار إليه القائد الأعلى بالجلوس قائلًا :

ــ عندى هُنا مهمة من النوع الذى يستهوى فريقك أيها القائد .

لم يستطع (نور) كتمان السعادة التى طغت على ملامحه ، فابتسم القائد الأعلى وهو يتابع قائلًا :

ــ لقد تعرَّض المستشار (فؤاد المصرى) ، رئيس المحكمة الدستورية العليا مساء أمس إلى حادث ، لا يمكن وصفه بأقل من أنه مذهل .

تنبَّهت حواس (نور) وهو يستمع باهتمام إلى القائد الأعلى ، الذى قصَّ على مسامعه الحادث الذى تعرَّض له المستشار (فؤاد المصرى) .. وما أن انتهى من الشرح حتى قال (نور) بدهشة :

ــ عجبًا !! إن ذلك يذكِّرنى بمحاولة سابقة لخداع المخابرات المصرية يا سيِّدى ، عن طريق التظاهر بامتلاك حواس خارقة للعادة (*) .

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، وقال :

ــ الأمر يختلف هذه المرة أيها الرائد ، فلم يحاول أحد التظاهر بذلك ، وعلى العكس كان من المفروض أن يلقى المستشار (فؤاد) حتفه فى ذلك الحادث ، لولا أنه أطلق صرخة عالية أيقظت زوجته ، وهى طبيبة مشهورة ، ولقد

(*) راجع قصة (صراع الحواس) .. المغامرة رقم (٩) .

أسعفته فى الحال .. ولحسن حظه أن قلبه قوى ، بخلاف ما هو مفروض فى مثل عمره .

صمت (نور) مفكرًا ، وقال ببطء :

ـ إذن .. فقد كان من المفروض أن يتوقَّف قلبه عن الانقباض تحت تأثير تلك العيون البرَّاقة .. من الصعب على عقلى استيعاب مثل هذا الأمر .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

ـ بالعكس أيها القائد ، هناك أكثر من تأكيد تاريخى لمثل هذا الأمر ، المعروف بالنسبة لعلماء ما فوق الطبيعيات باسم (التحكم فى الأشياء من بعد) أو (الباراكينيزس) .. فهناك مثلًا (يورى جيلر) أشهر من امتلك هذه المقدرة ، فلقد كان باستطاعته إذابة بعض المعادن ، وليَّها بالنظر إليها فقط .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ معذرة يا سيِّدى .. ولكن تجربتى السابقة فى هذا المجال ، تجعلنى أميل إلى أن الأمر برمَّته مجرد خداع .

أغلق القائد الأعلى عينيه لحظة ، ثم قال بهدوء :

ـ لابدَّ أن تعلم أولًا أنه ليس الحادث الأول أيها الرائد .

رفع (نور) رأسه ينظر بحدَّة إلى قائده ، الذى استطرد بهدوء :

ـ لقد لقى ثلاثة من رجال القضاء القدامى مصرعهم ، فى الأيام العشرة الماضية .

سأله (نور) بلهفة واهتمام :

ـ وكيف أمكن ربط مصرعهم بحادث المستشار (فؤاد) ؟

قال القائد الأعلى :

ـ لقد لقى ثلاثتهم مصرعهم بسكتة قلبية مفاجئة ، وعلى ملامحهم علامات الذعر والفزع ، ولم يمكننا إيجاد تفسير مقنع إلَّا بعد حادث المستشار (فؤاد) .

صمت (نور) طويلًا ، وبدت على ملامحه دلائل التفكير العميق ، فسأله القائد الأعلى باهتمام :

ـــ متى سيقوم فريقك بالمهمة أيها القائد ؟

أجابه (نور) :

ـــ فى الحال يا سيِّدى :

ثم صمت لحظة ، وعاد يقول :

ـــ ولكننى سأقوم أولًا بزيارة خاصَّة لسيادة المستشار .. فلدىَّ بعض أسئلة أودُّ توجيهها إليه .

***



٢ ـــ رباط الموت ..

« الأمر يحتاج إلى أديب أو عالم لغوى ، حتى يمكن وصف ما شعرت به وقتها أيها الرائد » .

نطق المستشار (فؤاد المصرى) بهذه العبارة ، وهو مسترخ فوق مقعد وثير ، ومستند إلى وسادة ليِّنة ، حَرِصت زوجته على تثبيتها خلف ظهره بحنان واهتمام ..

وتململ (نور) فى مقعده قبل أن يقول :

ـــ يمكننا تبسيط الأمر فى عبارتين سلستين يا سيِّدى .

هزَّ المستشار كتفيه ، وسعل مرتين ، ثم قال :

ـــ لقد ارتعد جسدى بأكمله ، وشعرت بنبضات قلبى ترتفع إلى درجة شديدة ، وبهلع يشمل كل خليَّة من خلاياى ، ثم فقدت الوعى .

تنهَّد (نور) بارتياح ، وقال :

ـــ ها قد فسَّرنا الأمر ببساطة يا سيِّدى .

ثم اعتدل فى مقعده ، وقال :

ــ ربما تعلم يا سيِّدى أنك رابع شخص من رجال القضاء القدماء ، يتعرض لمثل هذا الحادث ، ولكنك أول من يظل على قيد الحياة ..

أظهر المستشار ما يدل على الضجر ، وكأنه يرفض بقاءه على قيد الحياة ، ولكن (نور) تجاهل ذلك ، واستطرد قائلًا :

ــ والآن أريد أن أعلم ، إذا ما كانت هناك أية صلة بينك وبين الضحايا الثلاث الآخرين .

مطَّ المستشار شفتيه ، ولكن (نور) استمر قائلًا :

ــ لقد كان أولهم المستشار (صدق توفيق) ، والثانى هو القاضى (إبراهيم عثمان) ، والثالث هو القاضى (عباس عبد الله) .

ظهر الاهتمام لأول مرة على ملامح المستشار (فؤاد) ، والتقى حاجباه بشكل يدل على الاستغراق فى التفكير ، وطال صمته ، واحترم (نور) هذا الصمت ، فظلَّ ساكنًا حتى قال المستشار أخيرًا :

ــ هذه الأسماء الثلاثة .. ربَّاه !! هذه الأسماء ..

وأخذ يلوِّح بسبَّابته فى عصبيَّة واضحة ، أثارت فضول (نور) إلى أقصى حدّ ، فهتف قائلًا :

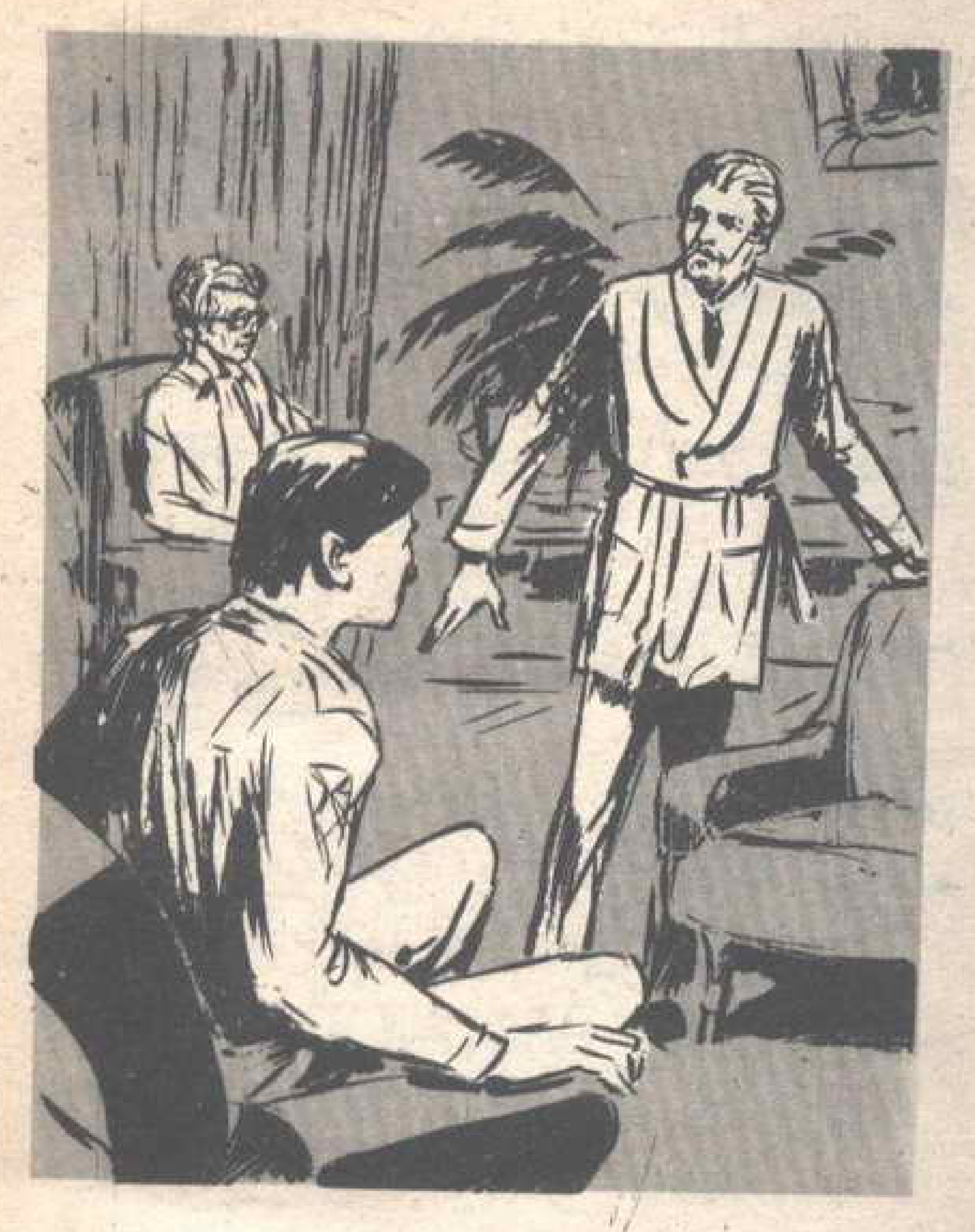
ــ ماذا تعنى لك هذه الأسماء الثلاثة يا سيِّدى ؟

عاد المستشار إلى صمته مرة أخرى ، وازدادت الحيرة فى ملامحه ، وكأنه يحاول إقناع نفسه بصحة ما توصَّل إليه عقله ، ثم قال أخيرًا :

ــ لقد اشتركت يومًا ما مع هذه الأسماء الثلاثة ، فى واحدة من أغرب القضايا التى واجهتنى فى حياتى .. بل أغربها على الإطلاق .

ونهض من مقعده بنشاط بدا عجيبًا فى عينى (نور) ، وأخذ يسير فى أنحاء الغرفة بتوتُّر ، وهو يقول :

ــ لقد تذكَّرت هذه القضية ، كما لو أنها حدثت أمس .. لقد كان ذلك منذ عشرين عامًا ، فى أوائل التسعينات من القرن العشرين .. كنت أنا رئيس المحكمة حينذاك ، وكان (صدق) هو عضو اليمين ، و (إبراهيم)



كانت حواس (نور) منتبهة للغاية ،
وهو يستمع إلى المستشار (فؤاد) ..

هو عضو اليسار ، أما (عباس) فكان ممثل النيابة والاتهام في ذلك الحين .. رحمهم الله جميعًا .

كانت حواس (نور) منتبهة للغاية ، وهو يستمع إلى المستشار (فؤاد) ، الذى تابع قائلًا بتوتُّر أشدّ :

ـ كانت القضية تدور حول أحد هؤلاء الدجَّالين ، الذين يدَّعون امتلاك قوى خارقة ، وقدرة على ممارسة السحر والشعوذة .. آه ، تذكرت .. لقد كان يدعى (قسيم الأعور) يا له من اسم عجيب !! لقد كان هذا الرجل متهمًا بقتل خمسة رجال دفعة واحدة ، من أجل الحصول على دمائهم لممارسة بعض الشعائر الشيطانية ..

سرَت رعدة غير ملحوظة فى عضلات وجه (نور) ، كما يحدث دائمًا كلما سمع عن عمل من أعمال الشرّ والدمار ، ولكنه استمر فى إصغائه ، على حين استطرد المستشار قائلًا :

ـ كان عدد الشهود كافيًا فى ذلك الوقت ، وكانت مرافعة ممثل النيابة (عباس) رائعة ، حتى أننا اتفقنا جميعًا ،

وأصدرت الحكـــم بلا تردُّد بإعدامـــه .. يا إلهى !! يا للبشاعة !!

وعند هذه النقطة جحظت عينا المستشار بذعر ، وظهر الرعب واضحًا فى ملامحه ، حتى أن (نور) سأله بلهفة :

ـــ ماذا حدث يا سيِّدى ؟.. ما الذى أثار ذعرك إلى هذا الحدّ ؟

وعندما التفت إليه المستشار ، لاحظ (نور) شحوب وجهه غير الطبيعى وهو يقول :

ـــ لقد تلقَّى ذلك الوغد قرار إعدامه فى ذلك الحين بضحكة شيطانية ساخرة ، ما زالت ترن فى أذنى حتى هذه اللحظة ، وصاح بتحدٍّ أنه لا يخشى الموت ؛ لأنه ....

بترَ المستشار (فؤاد) عبارته ، وازداد شحـوب وجهه ، فصاح (نور) :

ـــ أكمل يا سيِّدى .. أكمل بالله عليك .

ـــ ارتعدت شفتا المستشار ، وهو يقول ببطء :

ـــ لقد أعلن أنه لا يخشى الموت ؛ لأنه قادر على العودة إلى الحياة .

نظر (نور) إلى المستشار بذهول ، ثم صاح :

ـــ ولكن هذا مستحيل .. إن إعادة الحياة إلى الموتى بيد الله سبحانه وتعالى وحده .

انهار المستشار على أقرب المقاعد إليه ، وسقط رأسه على صدره ، وهو يقول بضعف واضح :

ـــ لقد كانت عيناه وقتها تبرقان ببريق مخيف .. نفس ذلك البريق ، عندما أعلن أنه سيعود .. سيعود لينتقم منا جميعًا .

ظل (نور) صامتًا فترة طويلة ، وقد تملَّكته الدهشة ، ولكنه عندما تكلم كانت عباراته تفيض بالحزم ، وهو يقول :

ـــ لست أومن بمثل هذه الخزعبلات يا سيِّدى .. إنها خدعة بلا شك .. خدعة قد تجوز على رجل واحد ، ولكنها لن تصمد أمام فريق متكامل .. فريق من نوع خاص .

***

٣ ــ تحدّى الفزع ..

أصغى أفراد الفريق إلى (نور) باهتمام ، ثم شملهم الصمت التام عندما انتهى من روايته ، وتبادلوا النظرات فيما بينهم ، إلى أن قالت (سلوى) :

ــ الأمر لا يثير فى نفسى فى الواقع سوى الخوف والفزع .

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

ــ الخوف من أسوأ المشاعر التى تنتاب البشر يا عزيزتى ، فهو يشلّ التفكير ، ويقضى على المشاعر الأخرى ، ولابدّ لنا من التغلّب عليه ، حتى يمكننا التفكير بهدوء واتزان .

عاد الصمت يسود المكان ، ثم قال (رمزى) :

ــ لو أننا أخذنا الأمور بظواهرها الأولية ، لوجدنا أننا بإزاء ظاهرة من الظواهر الخارقة للمألوف ، تخصّ شخصًا



عاد بعد الموت ليقتصَّ من الأشخاص الذين حكموا عليه به ، وطريقة القصاص فى حدِّ ذاتها هى نوعٌ من الظواهر الخارقة للطبيعة أيضًا ، فهى تعتمد على التحكّم فى الأشياء عن بعد .

سأله (نور) بهدوء :

ــ وماذا لو أننا نظرنا إلى الأمور من زاوية أخرى ؟

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

ــ فى هذه الحالة ستختلف الأمور تمامًا .

عاد (نور) يسأله بنفس الهدوء :

ــ وكيف ؟

تردَّد (رمزى) لحظة ، ثم قال :

ــ أعنى أننا لو نظرنا إلى الأمر ، باعتبار أن هناك شخصًا ما يمتلك عقلية إجرامية فترة ، يحاول إيهامنا بأنه خارق للمألوف ، فسنحلّل الأمور بشكل آخر .

ظهر عدم الاقتناع فى ملامح (نور) ، فمطَّ (رمزى) شفتيه دلالة على نضوب اقتراحاته .. وهنا رفع (محمود) رأسه فجأة وصاح :

ــ مهلًا يا رفاق .. هناك تفسير ثالث .

التفت إليه الجميع فى اهتمام واضح ، فابتسم وهو يقول :

ــ تلك الأعراض التى شعر بها المستشار (فؤاد) .. ارتجاف الجسد بأكمله ، وارتفاع سرعة دقات القلب ، والشعور بالخوف .. أليست كلها أعراض التعرُّض إلى تيَّار كهربى متوسط الشدَّة ؟ .. مائة (فولت) تقريبًا .

هتف (نور) بفرح :

ــ يا إلٰهى !! هذا صحيح .. كيف لم ننتبه إلى هذه النقطة ؟

وعلى عكس (نور) ، قالت زوجته (سلوى) بسخرية :

ــ وكيف حدث ذلك ؟ .. هل صنعوا لسيادة المستشار فخًا كهربيًا ؟

قال (نور) بحدَّة :

ــ وماذا يمنع ؟

قالت (سلوى) بحدَّة مماثلة :

ــ ولماذا نجلس هنا نضرب أخماسًا فى أسداس ، دون أن نلجأ إلى خطوة أراها منطقيَّة للغاية ؟

ارتفع صوت (نور) وهو يصيح :

ــ وما هذه الخطوة أيتها العبقرية ؟

قالت بهدوء وهى تداعب أظفارها :

ــ فلنتأكد أولًا أن رفات (قسيم الأعور) ترقد بأمان فى قبره .

ساد الصمت تمامًا بعد اقتراح (سلوى) ، إلى أن قال (نور) بعصبية :

ــ إننى أرفض هذا الاقتراح ، فلن يملك بشر مهما بلغت قوته ، أن يبعث بنفسه إلى الحياة مرة أخرى .. هذه المقدرة لله عز وجلَّ وحده .

قال (محمود) بتردُّد :

ــ ولم لا أيها القائد ؟ .. إننا لن نخسر شيئًا من محاولة التأكد .

صمت (نور) لحظة وكأنه يحاول استيعاب الفكرة ، وطال صمته ، حتى قال من بين أسنانه فى هدوء :

ــ حسنًا .. ولم لا ؟

***

استيقظ حارس المقابر منزعجًا على صوت طرقات (نور) القوية ، وقفز من فراشه مسرعًا نحو البوابة الضخمة ، وسأله (نور) بفارغ صبر :

ــ ماذا تريد فى هذه الساعة المتأخرة أيها الشاب ؟

أجابه (نور) ببرود وصرامة :

ــ لدىَّ أمر بنبش أحد هذه القبور أيها الحارس .

صاح الحارس بغضب :

ــ فى مثل هذه الساعة ؟!!

أجابه (نور) بصرامة شديدة :

ــ لا تكرِّر أقوالك أيها الحارس .. هذا الأمر صادر من إدارة المخابرات العلمية .

شحب وجه الحارس ، وأسرع يضغط على أزرار البوابة ، فانفتحت على مصراعيها ، وتقدَّم (نور) يتبعه

(رمزى) ، و (محمود) فى خطوات سريعة ، وسأله (نور) بصوت جاف :

— أين مقبرة (قسيم الأعور) ؟

قطّب الحارس حاجبيه ، وقال بدهشة :

— (قسيم الأعور) ؟!! .. لقد سمعت هذا الاسم قديمًا .. قديمًا جدًا .. حينما كنت فى مثل عمرك أيها الشاب .. الأمر يحتاج إلى مراجعة الكمبيوتر .

وبعد لحظات كان الرجل يعمل بهمة ، لفتح المقبرة المغلقة بمستطيل أسمنتى ثقيل .. وما أن انتهى من عمله حتى كان وجهه يتصبّب عرقًا ، وهو يقول :

— أحبّ أن أحذّركم قبل رفع هذا الغطاء أيها الشباب .. هذه الجثة مدفونة منذ أكثر من عشرين عامًا ، ولن يسرّكم ما سيقع عليه بصركم .

أجابه (نور) بنفاذ صبر :

— ارفع الغطاء أيها الحارس .

وما أن ارتفع الغطاء حتى تراجع (رمزى) و (محمود) بذعر ، واتسعت عينا (نور) دهشة ، وانطلقت من حنجرة الحارس صرخة قصيرة مكتومة ..

فقد كان القبر خاليًا تمامًا ، إلا من ورقة سميكة ، خط فوقها بحروف فسفورية مضيئة كلمتان فقط : « عدت .. لأنتقم » .

***



٤ ــ انتقام ميِّت ..

لم يكن جسد الحارس المسكين قد توقَّف عن الارتجاف بعدُ ، برغم مرور أكثر من ساعة على تلك الأحداث ، عندما سأله (نور) بلهجة قاسية :

ــ سأعيد سؤالى للمرة الثالثة ، وأريد جوابًا أكثر دقة هذه المرة :

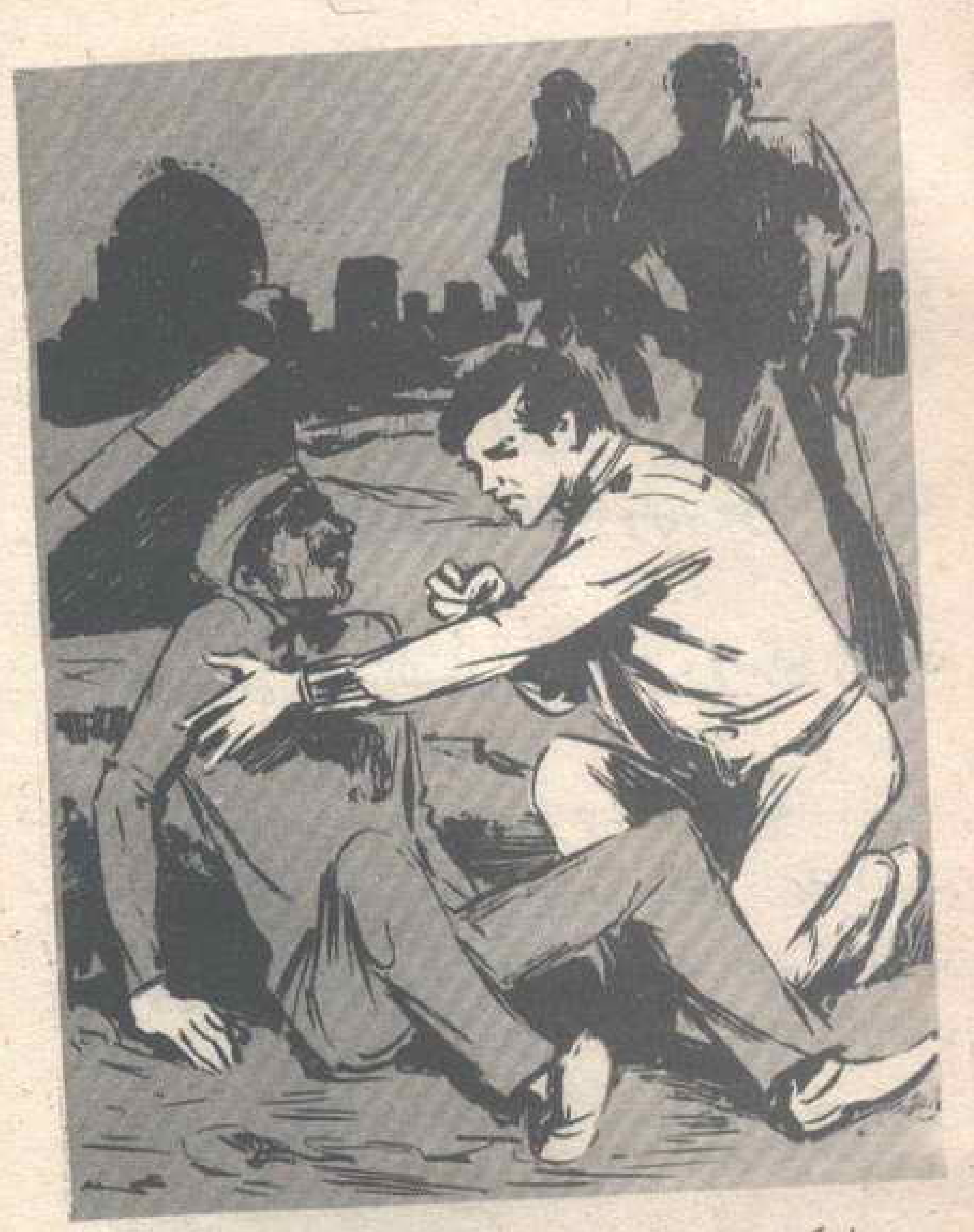
هل يمكن لأحد التسلُّل إلى المقابر ، وسرقة إحدى الجثث دون أن تشعر به ؟.

صاح الحارس فى وجهه بتوتُّر وعصبية بالغة :

ــ نعم أيها الرائد .. نعم .. نعم .. نعم .. لقد أجبت على سؤالك السخيف هذا أكثر من مرة .. إن إجراءات الأمن هنا لا تبلغ مثيلتها فى البنوك والمعامل الخاصة .. إن أحدًا لا يفكر فى سرقة الجثث فى عصرنا هذا ، حتى نعمل على حراستها بصورة لا تقبل الشك .

أمسك (رمزى) بذراع (نور) ، وقال :





لم يكن جسد الحارس المسكين قد توقف عن الارتجاف بعد ، برغم مرور أكثر من ساعة على تلك الأحداث .

ــ كفى أيها القائد .. من الواضح أن هذا الرجل متوتِّر للغاية ، ولست أجد داعيًا لرفع درجة توتُّره .

أزاح (نور) ذراعه بعصبية صائحًا :

ــ دعنا من آرائك الفلسفية هذه يا (رمزى) .. إننا نسعى خلف قاتل لم يتورَّع عن قتل ثلاثة رجال ، ولولا حسن الحظ لكان عدد الضحايا أربعًا .

صاح (رمزى) بعصبية أشد :

ــ وحتى لو كنا خلف سفَّاح السفَّاحين أيها القائد ، فلن أسمح لك بالتَّعدِّى على اختصاصاتى .. إننى المسئول عن النواحى النفسية فى الفريق .

ردَّت عبارة (رمزى) الساخطة إلى (نور) صوابه ، فتنهَّد بعمق ، واستعاد هدوء أعصابه وهو يقول :

ــ معذرة يا (رمزى) .. أنت على حق ، ولكنَّ غموض هذا اللغز وغرابته يثيران أعصابى بشكل سخيف .

ابتسم (رمزى) ، وقال :

ــ دعنا نتذكَّر عبارتك إذن .. هدوء الأعصاب يساعد على التفكير السليم .

صمت (نور) فترة ، ثم قال بهدوء :

ـ هذا صحيح يا (رمزى) .. لقد وجدت الوسيلة المناسبة لحل لغز هذه الجرائم .

نظر إليه الجميع بتساؤل ، فأردف قائلًا :

ـ سأقوم بدراسة ملف قضية (قسيم الأعـور) بأكمله .

* * *

هزَّ المستشار (فؤاد المصرى) رأسه بقوة ، دلالة على الاقتناع التام ، وهو يقول :

ـ أوافقك تمامًا أيها الرائد .. لابدَّ من دراسة القضية مرة أخرى .

وضع (نور) أمامه ملفًا ضخمًا ، وهو يقول :

ـ ها هى ذى يا سيِّدى .. سيكون علينا قراءتها كلها للأسف ، ففى ذلك الحين لم تكن القضايا قد تم تخزينها فى أجهزة الكمبيوتر الحديثة ، كما يحدث الآن .

تناول المستشار (فؤاد) الملف ، تصفَّح ورقاته الأولى بسرعة ، ثم استدار ينظر عَبْرَ نافذة مكتبه الزجاجية ،

إلى الممر القصير الموصل إلى منزله ، وعاد يلتفت إلى (نور) قائلًا :

ـ خبِّرنى بالله عليك .. ماذا يفعل فريقك فى ممر منزلى ؟

ابتسم (نور) قائلًا :

ـ لا تشغل عقلك بذلك ياسيِّدى .. إنهم يفحصون مكان الحادث .. يفحصونه كخبراء .

فى نفس هذه اللحظة كانت أنامل (سلوى) تداعب أحد أجهزتها الإليكترونية الحديثة فى ممر المنزل ، وهى تقول بجدِّية :

ـ أستطيع أن أجزم بأنه لاتوجد آثار لأية أجهزة تصنُّت أو انبعاث صوتى فى هذا المكان يا (محمود) .

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، ولكنه عاد يقول :

ـ ولكن الفحص الإشعاعى الذى أقوم به قد أعطانى بضع نتائج ، ربما كانت ذات فائدة .

استمعت إليه (سلوى) باهتمام ، فتابع قائلًا :

ـ من الواضح أن أحدهم قد توقَّف فترة طويلة فى هذا الركن المظلم ، وأن حذاءه مشبَّع بالأتربة التى تحوى الكثير

من البقايا المعدنية ، كما أكد الفحص بالأشعة فوق البنفسجية ، ولكنه لم يستخدم أيًا من المواد المشعَّة على الإطلاق .

سألته (سلوى) بفضول :

ـ أهى أقدام شخص حىّ ؟

ضحك (محمود) وهو يقول :

ـ بالطبع .. فالموتى لا يتركون آثار أقدامهم .

عقَّبت ببرود :

ـ إلا إذا نجحوا فى مغادرة قبورهم .

وجم (محمود) لحظة ، ثم قال هامسًا :

ـ أما زلت تصدِّقين هذه القصة السخيفة ؟

هزَّت كتفيها ، وقالت :

ـ أنا لا أصدِّق شيئًا .. إننى فقط أضع كل الفروض .

ثم همست قائلة :

ـ ألا تعلم أين أرسل (نور) (رمزى) ؟

هزَّ رأسه علامة الإيجاب ، وقال :

ـ إلى دار المحفوظات القديمة .. أعتقد أنه يبحث عن كل ما يخص الرجل المسمَّى (قسيم الأعور) .

وصمت لحظة قبل أن يتابع قائلًا :

ـ يا له من اسم !!

* * *

تثاءب المستشار (فؤاد) بعمق ، وظهرت على ملامحه علائم الإرهاق ، وهو يلقى بالملف الضخم فوق منضدة قريبة قائلًا :

ـ ها هى ذى قضيّة (قسيم الأعور) أيها الرائد .. كيف تجدها ؟

نهض (نور) من مقعده ، وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابًا ، وهو يقول :

ـ أجدها قضية غير عادية يا سيِّدى ، ولقد أثار انتباهى فيها أكثر من نقطة ..

أولًا : أن (قسيم) هذا يبدو فى الصور المأخوذة له بعينين سليمتين ، مما يعنى أن لقب (الأعور) مجرد اسم فقط ، ولا ينم عن طبيعته .

ثانيًا : أنه كان متزوجًا من امرأة تؤمن تمامًا بقدراته ، كما تدل أقوالها فى أثناء التحقيق معها ..

ثالثًا : أن هذه المرأة لم تحضر المحاكمة نفسها لعذر قهرى ، ولم يوضح الملف طبيعة هذا العذر ، وإن كان بإمكانى استنتاجه بسهولة .

اعتدل المستشار (فؤاد) ، وسأله باهتمام :

— وما هو فى رأيك أيها الرائد ؟

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال ببساطة :

— ماذا يمنع امرأة تحبّ زوجها ، وتؤمن به ، من حضور محاكمته فى رأيك يا سيِّدى ؟.. إنه العذر الوحيد الذى لا يهتم بالمواعيد أو الظروف .. إنه الشىء الوحيد الذى يجبر المرأة على الاستسلام ، مهما كانت الظروف .

هتف المستشار (فؤاد) بلهفة :

— ما هو بالله عليك أيها الرائد ؟

قال (نور) بهدوء :

— الولادة يا سيِّدى .. لقد كانت زوجة (قسيم الأعور)

تضع مولودها ، وهذا يعنى أنه هناك ابن لذلك الساحر يسعى على وجه الأرض .

ثم تطلَّع عَبْر النافذة إلى الشمس التى تشرق ، وتابع قائلًا :

— ابن يسعى للانتقام ، ممن أساءوا إلى والده .

* * *



٥ ــ ابن الشيطان ..

ــ يا إلهى !! هذا صحيح أيها القائد .. يا لك من عبقرى !! كيف توصّلت إلى هذا الاستنتاج ؟

نطق (رمزى) بهذه العبارة فى مزيج من الدهشة والإعجاب ، ودون أن ينتظر جواب (نور) تابع قائلًا :

ــ لقد أنجبت زوجة (قسيم) ابنها بالفعل فى نفس يوم المحاكمة ، وأطلقت عليه اسم (رسيم) .

نظرت (سلوى) إلى (نور) بدهشة ، وقطّب (محمود) حاجبيه بحيرة ، على حين قال (نور) لـ (رمزى) بهدوء :

ــ وأين الزوجة والغلام الآن ؟

أجاب (رمزى) بسرعة :

ــ تقيم الزوجة مع ابنها فى الإسكندرية ، منذ تنفيذ حكم الإعدام فى زوجها ، ولدىّ عنوانها هنا .



تنهَّد (نور) بعمق ، ثم ابتسم وقال :

ـــ استعدُّوا إذن يارفاق .. سنزور زوجة (قسيم الأعور) .

* * *

هبط (نور) ورفاقه من سيارتهم الصاروخية ، أمام الشارع الضيق الذى تقيم به (شريفة زهير) زوجة (قسيم الأعور) ، وأوقف (نور) أحد المارة وسأله :

ـــ هل تقيم السيدة (شريفة) فى هذا المنزل ؟

أومأ الرجل برأسه فى بساطة ، وقال وهو يشير إلى نافذة مفتوحة فى الدور الأرضى :

ـــ نعم ، ولكنها لم تغادر المنزل منذ عاد إليها زوجها .

بهت الفريق بأكمله من هذه العبارة ، وقطَّب (نور) حاجبه ، وهو يسأل الرجل بدهشة :

ـــ زوجها ؟.. هل رأيته ؟

هزَّ الرجل كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ـــ نعم .. وماذا فى ذلك ؟ إنه طويل القامة ، ضخم الجثة ، كثيف الحاجبين ، أصلع الرأس .

ازدادت دهشة أفراد الفريق إلى حدٍّ كبير ، فقد كانت هذه الصفات منطبقة تمامًا على (قسيم الأعور) ، حتى أن (نور) قفز إلى الأمام ، وأمسك ذراع الرجل بقسوة صائحًا :

ـــ متى رأيت هذا الرجل ؟

تأوَّه الرجل ألمًا ، وصاح بذعر :

ـــ منذ عشرة أيام أو ما يزيد قليلًا .. هل هو مطلوب للعدالة ؟

ترك (نور) ذراع الرجل ، وهو يقول فى ضيق :

ـــ نعم أيها الرجل .. إنه مطلوب منذ أكثر من عشرين عامًا .

ثم استدار بهدوء ، ودقَّ باب منزل (شريفة زهير) ، وانتظر قليلًا .. لم يكن المنزل مزوَّدًا بجهاز التقاط إليكترونى ككل منازل القرن الحادى والعشرين ، أو حتى بكاميرا تلفزيونية مغلقة ، وبرغم ذلك فتحت سيدة فى حوالى العقد الخامس من عمرها الباب ، وهى تبتسم ابتسامة حار (نور)

فى تفسيرها .. فهى تجمع مابين الهدوء والخبث والسخرية ، فى مزيج قلَّ أن ينجح إنسان فى خلطه .. وطال الصمت ، حتى قال (نور) ببرود :

— السيدة (شريفة زهير) حسبما أعتقد .. أليس كذلك ؟

أجابته السيدة بلهجة أقرب إلى السخرية :

— بلى ، يا رجل الشرطة الهمام .. أنا هى .

ضاقت حدقتا (نور) ، وهو يقول :

— لدىَّ بعض أسئلة ، أحبَّ أن ألقيها عليك يا سيِّدتى .

ازدادت السخرية فى ابتسامة (شريفة) ، وهى تقول :

— أليس من الأفضل الانتظار لحين حضور زوجى ؟

التقى حاجبا (نور) وهو يسألها :

— زوجك من ؟

ضحكت السيدة ضحكة قصيرة تفيض بالسخرية ، وهى تقول :

— وهل لدىَّ أكثر من زوج ؟ .. إننى أقصد الرجل الذى تسعون خلفه بالطبع .. أقصد (قسيم الأعور) .

جلست السيدة (شريفة) هادئة على مقعد خشبى هزَّاز ، تتأمَّل أفراد الفريق ، ثم قالت :

— أخشى أن يطول انتظاركم يا فتيان ، فزوجى لا يعود إلى المنزل بانتظام .

ظل (نور) صامتًا يتأمَّلها ببرود ، على حين اندفع (رمزى) بقول :

— كفى يا سيدة (شريفة) ، أنت تلعبين لُعبة غاية فى الخطورة .. نحن نعلم جميعًا أن (قسيم الأعور) قد لقى حتفه شنقًا منذ عشرين عامًا تقريبًا .

أجابته (شريفة) بهدوء :

— عشرين عامًا واثنى عشر يومًا بالضبط أيها الشاب .

تنبَّهت حواس (نور) بأكملها عند هذه العبارة ، فقد انتبه فجأة إلى أن تاريخ الحادث الأول الذى لقى فيه المستشار (صدقى توفيق) مصرعه ، يوافق تمامًا الذكرى العشرين لإعدام (قسيم الأعور) .. فحدَّق فى وجه أرملته وهو يسأل ببرود شديد :

— كيف حال ابنك (رسيم) يا سيِّدتى ؟
ابتسمت السيدة بسخرية ، وقالت :

— يبدو أن معلوماتك متأخرة للغاية أيها الشاب .. إن (رسيم) ابنى وابن (قسيم الأعور) لم يعش أكثر من شهور ثلاثة .. لقى بعدها حتفه بسبب نزلة معوية حادَّة .

كانت هذه المعلومة مفاجأة لـ (نور) ، فلقد قلبت نظرياته بأكملها رأسًا على عقب ، حتى أنه لاذ بالصمت ، وقد التقى حاجباه بشكل ينمّ عن تفكير عميق .. وأسرعت (سلوى) تسأل الأرملة :

— متى عاد زوجك يا سيِّدتى ؟

أجابتها الأرملة بهدوء :

— فى نفس التاريخ الذى حدَّده ليلة إعدامه يا فتاتى الحسناء .. فى الذكرى العشرين لتدلِّيه من حبل المشنقة .

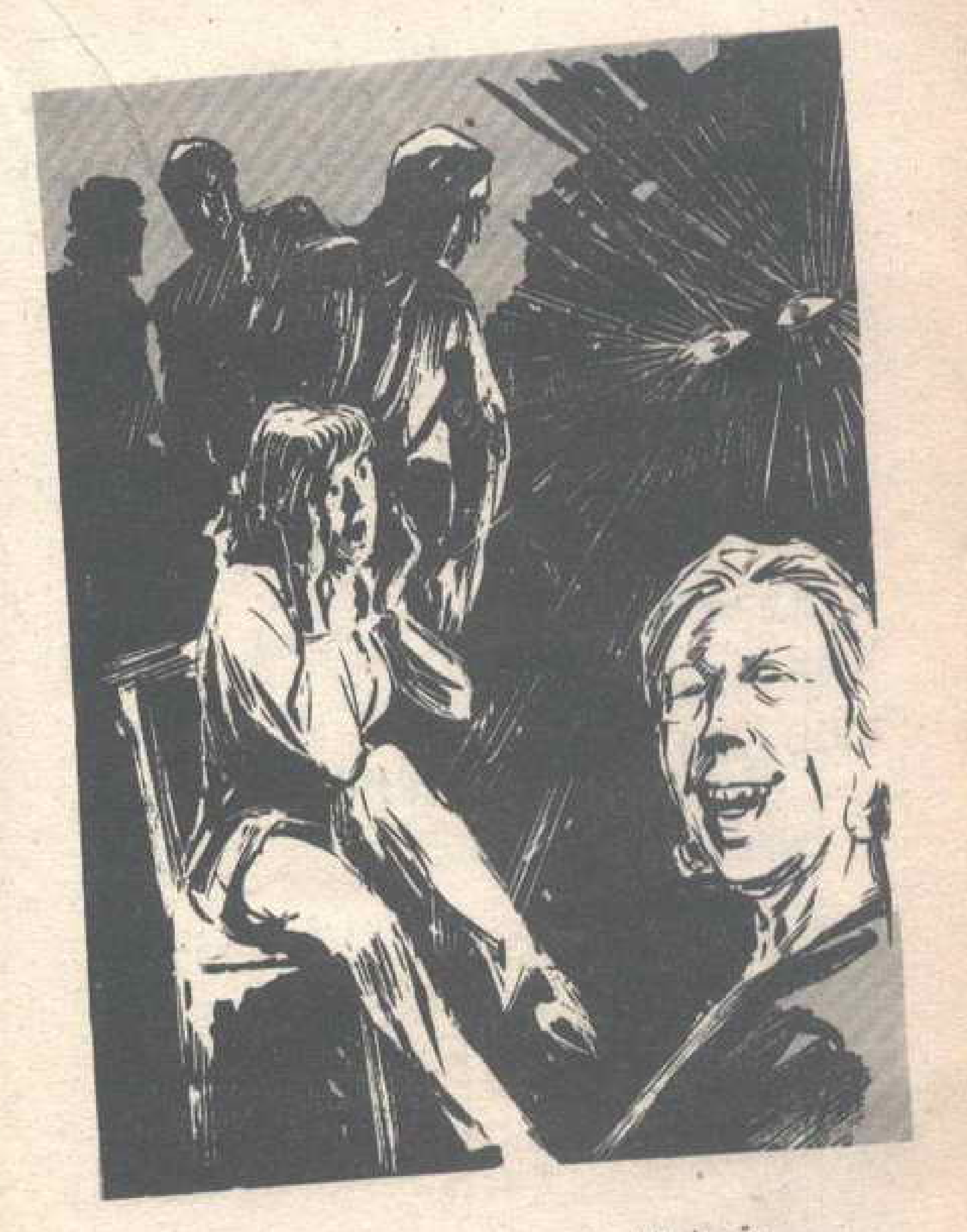
شعرت (سلوى) برجفة تسرى فى أوصالها ، بسبب برود صوت الأرملة ، ولهجتها التى تفيض بالمرارة والحقد ، فانكمشت على نفسها دون وعى منها .. وهمَّ (نور)

بالتحدُّث عندما انطفأت الأضواء فجأة ، وساد المنزل الصغير ظلام تام ، وارتجف جسد (سلوى) برعب عندما أطلقت الأرملة ضحكة ساخرة مدوِّية ، وصاحت بشراسة :

— يا لحسن حظكم !! ستسعدون الآن بمقابلة زوجى (قسيم الأعور) .

صرخت (سلوى) صرخة مكتومة ، واتسعت عيون (محمود) و (رمزى) ذهولًا ، على حين قطَّب (نور) حاجبيه بخليط من الدهشة ، وعدم التصديق ، عندما برقت فى الظلام عينان واسعتان ، تحدِّقان فى الجميع بشراسة ليس لها مثيل .

* * *



برقت فى الظلام عينان واسعتان ، تحدقان فى الجميع بشراسة ليس لها مثيل ..

٦ ـ الصراع الجهنمى ..

لم يتردَّد (نور) لحظة واحدة ، ولم يتغلَّب خوفه على تفكيره وانفعالاته وسرعة خاطره ، وفى لمح البصر انتزع مسدسه الليزرى من حزامه ، وأضاءت الغرفة بضوء أزرق باهت ، عندما أطلق من فوهته دفقة من أشعة الليزر ، صوَّبها بين العينين البراقتين تمامًا ..

سمع الجميع صوت فحيح مكتوم ، عندما مرقت الأشعة بين العينين ، وأصابت حائط الغرفة ، وسرَت همهمة شيطانية غاضبة ، على حين ظلت العينان على بريقهما وشراستهما ..

وهنا قفز (نور) بجرأة منقطعة النظير نحو العينين ، وقد تملَّكته رغبة عارمة فى استغلال هذه الفرصة ، وكشف النقاب عن لغز ذلك الانتقام الرهيب ، مهما كان الثمن .

كان (نور) قد طوَّح ذراعه ، استعدادًا لتسديد لكمة قوية إلى أحد العينين ، عندما تصلَّبت ذراعه فجأة فى الهواء ،

وشعر بآلام شديدة فى عنقه ، ومؤخرة رأسه ، وارتجف جسده بقوة ، وشعر بقلبه ينتفض من شدة ضرباته .. كان واثقًا فى هذه اللحظة أنه لا دخل لتيَّار الكهربائية فيما يحدث له ، وأنه إنما وقع تحت تأثير قوة خارقة تسيطر على عقله ، وتدفع جسده إلى الانتحار الجبرى .

صرخت (سلوى) برعب ، وصاح (محمود) و (رمزى) بخوف على قائدهم ، أما (نور) نفسه فقد أخذ عقله يعمل بسرعة تنافس أحدث أجهزة الكمبيوتر .. درس عقله الأمر فى أقل من عشر الثانية .. كان هناك شىء ما أو قوة ما تسيطر على عقله .. الوسيلة الوحيدة لقهرها إذن هى أن يتحرَّر عقله أولًا ، ولكن كيف ؟

بذل (نور) مجهودًا خرافيًا يفوق مستوى البشر ، للتركيز فى أمور أخرى بخلاف حادث (قسيم الأعور) .. أخذ يتذكَّر بداية عمله فى الشرطة ، وانتقاله إلى المخابرات العلمية ، وزواجه من زميلته (سلوى) ، وإنجاب ابنته (نشوى) .. كان يحاول تذكُّر أى شىء بعيد عما يحدث .. صراع رهيب بين عقل بشرى ، وقوة عقلية خارقة ..

وفجأة تلاشت العينان البرَّاقتان ، وأضيئت الغرفة بأكملها ، ومادت الأرض تحت قدمى (نور) ، وشعر أنه يهبط فى هُوَّة سحيقة ، ثم غاب عن الوعى .

* * *

استيقظ عقل (نور) فجأة ، واستعاد حواسه كلها دفعة واحدة ، ووجد نفسه يقفز بلا وعى من فراشه ، بطريقة أثارت فزع رفاقه ، وبالأخص زوجته (سلوى) .. وفتح عينه ليجد نفسه فى غرفته ، و (سلوى) تنحنى فوقه ملتاعة هاتفة :

ـ (نور) .. ماذا بك ؟.. هل أنت بخير ؟

تطلَّع (نور) بدهشة إلى غرفته التى يألفها جيدًا ، ثم سأل (سلوى) :

ـ ماذا حدث ؟.. كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابه (رمزى) بلهجة تدل على التوتُّر :

ـ لقد هاجمنا شبح (قسيم الأعور) ، وكرَرْت أنت عليه بشجاعة فائقة ، ولكن جسدك ارتجف فجأة ، وخرج

من حلقك صوت متحشرج ، ثم فقدت الوعى ، فأحضرناك إلى هنا لإسعافك .

سأله (نور) بغضب :

ـــ و (شريفة زهير) أين هى ؟

هزّ (رمزى) كتفيه وصمت ، فانبرى (محمود) قائلاً :

ـــ لقد اختفت تمامًا .. عندما أضيئت الغرفة ، لم يكن هناك أثر لها ، أو لأى شخص آخر .

رفع (نور) رأسه إلى سقف حجرته ، وتنهّد وهو يفكّر فى الأمر بعمق .. لم يكن يستطيع استيعاب فكرة الأشباح أو البعث الذاتى .. كان موقنًا أنه وراء كل هذه الأحداث خدعة متقنة للغاية ، ولكن لماذا ؟.. وكيف ؟.. كانت خبراته السابقة قد علّمته أن المجرم يقع دائمًا فى النهاية ، مهما بلغ ذكاؤه ، ومهما بلغت حنكته ، ولكنه هذه المرة كان متعجّلاً للإيقاع به ، ربما لدفع هذه المعتقدات الغريبة عن عقول رفاقه .. فنهض من فراشه بنشاط عجيب ، وهو يقول :

ـــ لا بدّ لنا من التأكّد من مصرع (رسيم) أولاً يا رفاق ، ثم سنعمل على بحث ما حدث من كل الوجوه العلمية .

سألته (سلوى) بإشفاق :

ـــ أما زلت مصرًا على أن كل ماحدث مجرد خدعة ؟ بعد كل ذلك ؟

ابتسم وهو يقول بثقة :

ـــ بل أكثر من ذى قبل يا عزيزتى .. وستثبت الأيام أننى كنت على حق .

* * *

أشاح المستشار (فؤاد) بذراعيه فى الهواء ، وسأل (نور) بدهشة :

ـــ كيف تكون موقنًا إلى هذا الحدّ بأن الأمر مجرد خدعة ، برغم ما شعرت به أنت نفسك ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـــ إنه الظلام يا سيّدى .. الظلام الذى اكتنف الغرفة قبل ظهور تلك العينين البراقتين .. لقد تساءلت :

لماذا يصرُّ السيد (قسيم الأعور) على العمل فى الظلام دائمًا ، ما دام يمتلك قُوى خارقة ، تمكّنه من هزيمة أشد المقاتلين شجاعة وبأسًا ؟.. هناك تفسيران فقط : إما أنه لا يحب أن يرينا بشاعة وجهه ، وإما أنه هناك ما ينبغى إخفاؤه أو تعميته .

ثم رفع سبابته أمام وجهه ، واستطرد قائلًا :

ــ ولا تنس يا سيِّدى أن الظلام هو الوضع الأمثل ، لإخفاء الأشياء غير الكاملة .. كعينين برّاقتين مثلًا بلا جسد .

سأله المستشار بدهشة :

ــ ماذا تعنى أيها الرائد ؟

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول :

ــ أقصد أن ما رأيناه فى غرفة الأرملة (شريفة) مجرد عينين خادعتين ، أعدتا بمهارة لتوحيا بوجود جسد حولهما ، أو أنهما مجرد خداع بصرى .. وَهْمٌ سيْطَر على عقولنا .

قال المستشار بسخرية :

ــ وَهْمٌ سيْطَرَ على عقول أربعة أفراد ؟!!

هزَّ (نور) رأسه قائلًا :

ــ ليس هذا بالشىء العجيب يا سيِّدى ، فلو أنك ذهبت فى زيارة واحدة لبلاد (الهند) ، لرأيت ما هو أعجب من ذلك .. سترى رجلًا يسيطر بقوة الوهم وحدها على جمع غفير ، يبلغ فى بعض الأحيان بضع مئات من البشر المثقفين من مختلف المهن والجنسيات .

صاح المستشار بدهشة :

ــ يا إلٰهى !! وكيف ذلك ؟

اعتدل (نور) فى مقعده ، وقال :

ــ هل سمعت عن فقراء الهنود ، الذين يقفون منذ مئات السنين فى أسواق الهند ؟.. إن الواحد منهم وعلى مرأى من مئات المشاهدين ، يلقى بحبل فى الهواء ، فيتصلَّب هذا الحبل ، ويقف متعلِّقًا وكأنما قوة خفية تشدّه إلى أعلى ، ثم يأمر ابنه أو تابعه بتسلُّق الحبل ، ويطيعه الصبىّ ، فيصعد إلى أعلى الحبل دون أن يهتز أو يسقط .. لقد حار العلماء سنوات طوال فى تفسير هذه الظاهرة العجيبة ، حتى تم تصويرها بعدسات السينما .

ابتسم (نور) وهو يتابع قائلًا :

ـ من العجيب أنه يمكنك خداع العين البشرية ، برغم كفاءتها الرائعة ، ولكنه من الصعب خداع عدسات التصوير .

كان المستشار يتابع باهتمام بالغ ، و (نور) يستطرد قائلًا :

ـ لقد تلاشت دهشة العلماء عندما شاهدوا الفيلم ، وحلّت محلّها دهشة أعظم .. لقد وجدوا الرجل ساكنًا عاقدًا ذراعيه ، وأمامه على الأرض جلس معاونه وإلى جواره الحبل ملفوفًا كما كان ، على حين تشعُّ عينا الرجل ببريق عجيب ، وهو يحدّق فى وجوه المشاهدين الذين يتطلّعون إلى أعلى بذهول .

ارتجفت أصابع المستشار ، وهو يصيح بدهشة :

ـ هل تعنى أن ذلك الفقير الهندى ، قادر على إيهام المئات ، بما يعتقدون أنهم يرونه ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .. لقد كشف العلماء بواسطة هذا الفيلم وجود مايسمى بقوة الوهم ، وبمدى قدرتها على السيطرة .. وليست هذه هى الحادثة الوحيدة الدالة على وجود قوة الوهم يا سيِّدى ، ففى عام ألف وتسعمائة وأربعين ، دخل رجل يدعى (فولف مسبـخ) على (ستالين) زعيم (روسيا) فى ذلك الحين .. دخل إليه فى غرفة نومه ، وعندما اندهش (ستالين) وسأله كيف تجاوز الحرس ؟ أخبره (مسبخ) أنه قد أوهمهم بكونه وزير الداخلية .

ظل المستشار (فؤاد) صامتًا ، يحاول هضم ما سمعه من (نور) ، ثم هزَّ رأسه أخيرًا وقال :

ـ ولكن هذا لا يؤكد أن ما حدث لكم كان مجرد وهم أيها الرائد .

ابتسم (نور) وهو يرفع ساعته الصغيرة أمام وجه المستشار ، قائلًا :

ـ لقد كنت أتوقَّع حدوث ذلك يا سيِّدى لحسن الحظ ، ولذلك فقد تركت آلة التصوير السينمائى الصغيرة

المخبَّأة فى ساعتى الذرية ، تعمل منذ دخولنا إلى منزل الأرملة الشرِّيرة .

وضحك وهو يقول :

ــ ولدىَّ هنا دليل على كل كلمة نطقت بها .

وعاد وجهه إلى الجدِّية ، وهو يتابع قائلاً :

ــ لقد عرفت بهذه الطريقة كيف يحدث ذلك .. بقى أن نعرف من ؟ .. ولماذا ؟

* * *



٧ ــ رحلة إلى المجهول ..

انطلقت من حنجرة (سلوى) ضحكة مرحة ، لا تتناسب مع الظروف التى يمر بها الفريق ، حتى أن الجميع تطلَّعوا إليها بدهشة ، فتخضَّب وجهها خجلاً ، وقالت بتلعثم :

ــ معذرة يا رفاق ، لم أستطع كتمان ضحكتى ، عندما تصوَّرت منظرنا ونحن نتطلَّع برعب وبلاهة إلى شىء وهمى غير موجود .. لا بدَّ أننا كنا نبدو غاية فى الغباء أمام السيدة (شريفة) .

قال (نور) بهدوء :

ــ على العكس .. أعتقد أنها كانت غاية فى السعادة لنجاح خدعتها .

سأله (محمود) باهتمام :

ــ كيف تعتقدَ أنها قامت بإطفاء أنوار المنزل ؟ ..

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

ـ لست أدرى .. لقد كنا نراقبها جميعًا ، ولا أعتقد أنه كان لديها الوقت الكافى للقيام بأية خدعة .

قال (رمزى) :

ـ ولكن إذا كان (رسيم) قد لقى حتفه حقًّا كما تأكدنا من السجلات ، فمن يعاونها إذن ؟

هزَّ (نور) رأسه فى حيرة ، وقال :

ـ ما زالت هناك نقاط غامضة فى هذا اللُّغز يا (رمزى) .. (قسيم) مثلًا .. هل لاحظ أحدكم أن اسمه لا يتفق مع الأسماء المصرية المألوفة ؟ بل يبدو كاسم لرجل من أبناء (الهند) .

صاحت (سلوى) :

ـ يا إلهى !! هذا صحيح .. (قسيم) و (رسيم) .. إنهما اسمان هنديَّان ننطقهما بالعربية (قاسم) و (راسم) .

تابع (نور) :

ـ هذا يعنى أن السيِّد (قسيم) ليس من أبناء مصر .. بل هو أجنبى .

سأله (رمزى) :

ـ وماذا يعنى ذلك ؟

أجاب (نور) بشرود :

ـ ربما يعنى الكثير ، وربما لا يعنى شيئًا على الإطلاق يا عزيزى (رمزى) .

وأطرق برأسه مفكِّرًا لحظة ، ثم رفع رأسه ، وقال باهتمام واضح :

ـ هناك أكثر من مجهول فى هذا اللُّغز يا رفاق ، والأمر يحتاج منا إلى الغوص فى أعماقه .. لا بدَّ من رحلة إلى هذا المجهول .

هزَّت (سلوى) كتفيها ، وقالت :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل بعد كل هذا ؟

أشار (نور) بسبَّابته إشارة غير ذات معنى ، وقال :

ـ هناك نقطة لم نبحثها فى قضية (قسيم الأعور) يا عزيزتى .. نقطة ربما كان فيها حل اللُّغز بأكمله .

نظر إليه الجميع يتساءلون ، فتابع قائلًا :

— لقد نسينا بحث هويّة الرجال الخمسة ، الذين اتهم (قسيم) بقتلهم منذ عشرين عامًا .

***

أشارت عقارب الساعة إلى الرابعة صباحًا ، عندما تثاءب (رمزى) ، وقال هو يطفئ جهاز الكمبيوتر الموضوع أمامه :

— أعتقد أن (نور) على حق ، فالضحايا الخمس كانوا ضبّاطًا فى سلاح البحرية المصرية .

قطّبت (سلوى) حاجبيها ، وقالت بدهشة :

— عجبًا .. أعتقد أنه لا مجال للمصادفة هنا .. ولكن لماذا يُقدِم (قسيم الأعور) على قتل خمسة ضباط من البحرية المصرية ؟

قال (محمود) :

— إننى أوافق (نور) على أن حل اللّغز بأكمله ، يكمن فى هذه النقطة بالذات .

أخرجت (سلوى) من حقيبتها صورة (قسيم الأعور) ، وتأمّلتها برهبة ، ثم قالت :

— إن ملامح هذا الرجل مليئة بالغموض ، وتثير الدهشة فى نفسى بالفعل .. تصوّروا يا رفاق .. أن عينه تبرق بالفعل فى الصورة .

وأسرعت تدسّ الصورة فى حقيبتها وهى تشعر برجفة خفيفة ، وقالت :

— تُرى ، متى يعود (نور) ؟ إنها الرابعة صباحًا .

ابتسم (رمزى) وقال :

— لا تقلقى بشأن زوجك يا (سلوى) ، فعندما يعمل عقله من أجل حل لغز غامض ، لا يعرف النومُ إليه سبيلًا .

***

انطلق (نور) بسيارته الصاروخية ، مبتعدًا عن (مركز المحفوظات العام) ، وقد غرق عقله فى تفكير عميق ، وسرعان ما أوقف السيارة بجوار كورنيش النيل ، وهبط منها ، ثم ارتكن بمرفقيه على سور الكورنيش يتطلّع إلى مياه النيل ، بتموجاتها الرقيقة التى انعكس فوقها ضياء

القمر ، فصنع لوحة طبيعية جمالية أعادت إلى نفس (نور) هدوءه السابق ، فأخذ يحدّث نفسه قائلًا :

— لو صحَّ ما أفكر فيه ، ستكون السيدة (شريفة) هى أكثر نساء العالم صبرًا وذكاءً ، ولكنها فى الوقت ذاته ضحيَّة مسكينة ، تعيش منذ عشرين عامًا فى خدعة دنيئة ، تم إعدادها بمهارة فائقة .. خدعة كانت هى ضحيتها الثانية .

وقبل أن يسترسل فى أفكاره ، سمع صوت أزيز ينطلق من ساعته الصغيرة ، فضغط على زرٍّ صغير بها ، ورفعها إلى فمه قائلًا :

— ماذا هناك يا (سلوى) ؟

جاءه صوت زوجته متلعثمًا ، وهى تقول :

— معذرة يا (نور) .. لقد طلبت منِّى عدم استخدام وسيلة الاتصال هذه إلا فى الضرورة القصوى ، ولكنك تأخرَّت كثيرًا ، ولقد خشيت أن ... أعنى فى مثل هذه الظروف .

قاطعها (نور) قائلًا :

— هل توصَّلتم إلى شىء بخصوص الرجال الخمسة ؟

أجابته (سلوى) بسرعة :

— نعم .. إنهم جميعًا ضباط فى البحرية المصرية .

التقى حاجبا (نور) بشدة عند سماعه هذه الإجابة ، وطال صمته حتى أثار قلق (سلوى) ، فسألته :

— (نور) ! .. أما زلت تستمع إلىَّ ؟

أجابها (نور) بشرود :

— بلى يا عزيزتى .. لا تخشى شيئًا .

وفجأة تألقت عيناه ببريق مألوف ، وأضاء وجهه بنور المعرفة ، واتسعت حدقتاه كثيرًا ، وهتف من أعماقه :

— يا إلهى !! هذا هو الحل .

صرخت (سلوى) تسأله بلهفة :

— ربَّاه !! لقد توصَّلت إلى الحل يا (نور) . أليس كذلك ؟ .. أجبنى يا (نور) بالله عليك .

أجابها (نور) بهدوء ، وبصوت ينم عن الراحة :

— بلى يا عزيزتى .. لقد توصّلت إلى الحل فعلاً .

وصمت لحظة ، ثم استطرد بقلق :

— ولابد لنا من العثور على السيدة (شريفة) بأقصى سرعة ممكنة .. فهى أكثرنا حاجة إلى معرفة حل هذا اللُّغز .

سألته (سلوى) بذهول :

— وكيف يا (نور) ؟

قال وهو يتحرَّك نحو سيارته بخطوات سريعة واسعة :

— سأخبرك بكل شىء عندما أصل إليك يا عزيزتى .. سأصل بأقصى سرعة ممكنة .

وما أن قطع (نور) الاتصال ، حتى التفتت (سلوى) إلى (رمزى) و (محمود) ، وهتفت بسعادة :

— لقد توصَّل (نور) إلى حل اللُّغز يا رفاق .. لقد كشف (نور) لُغز (قسيم الأعور) .

وقبل أن تنطلق من حنجرتى (محمود) و (رمزى) صيحة فرح ، سمع الجميع صوتًا عميقًا ، يقول بلكنة أجنبية ساخرة :

— هكذا !! .. يا له من أمر طريف !!

استدار الجميع نحو مصدر الصوت بسرعة ، وجحظت عيونهم رعبًا ، وانطلقت من حنجرة (سلوى) صرخة مروِّعة .. فقد كان يقف أمامهم على باب الغرفة (قسيم الأعور) ، بنفس ملامحه المميَّزة فى صُوَره .

* * *



٨ ــ الشَّبح ..

تراجع الجميع بذعر ، ولوَّحت (سلوى) بكفِّها أمام وجهها فى رعب وهى تصيح :

ــ مستحيل !! مستحيل !! لقد لقى (قسيم الأعور) حتفه منذ عشرين عامًا .

تحرَّك الرجل الضخم الجثة نحوهم ببطء وهدوء ، وهو يقول ببرود :

ــ هكذا !! هل أبدو لكم كالطيف أو الخيال .

استجمع (رمزى) شجاعته ، ووقف فى وجه الرجل صائحا :

ــ لا تحاول خداعنا أيها الرجل .. إن البشر لا يملكون القدرة على العودة إلى الحياة بإرادتهم بعد الموت ، فمهما بلغ رقىّ البشرية ، فلن تبلغ قدرة الخالق عز وجل .

أشار الرجل إلى منتصف الغرفة ، فى المسافة بينه وبين الثلاثة ، وقال :



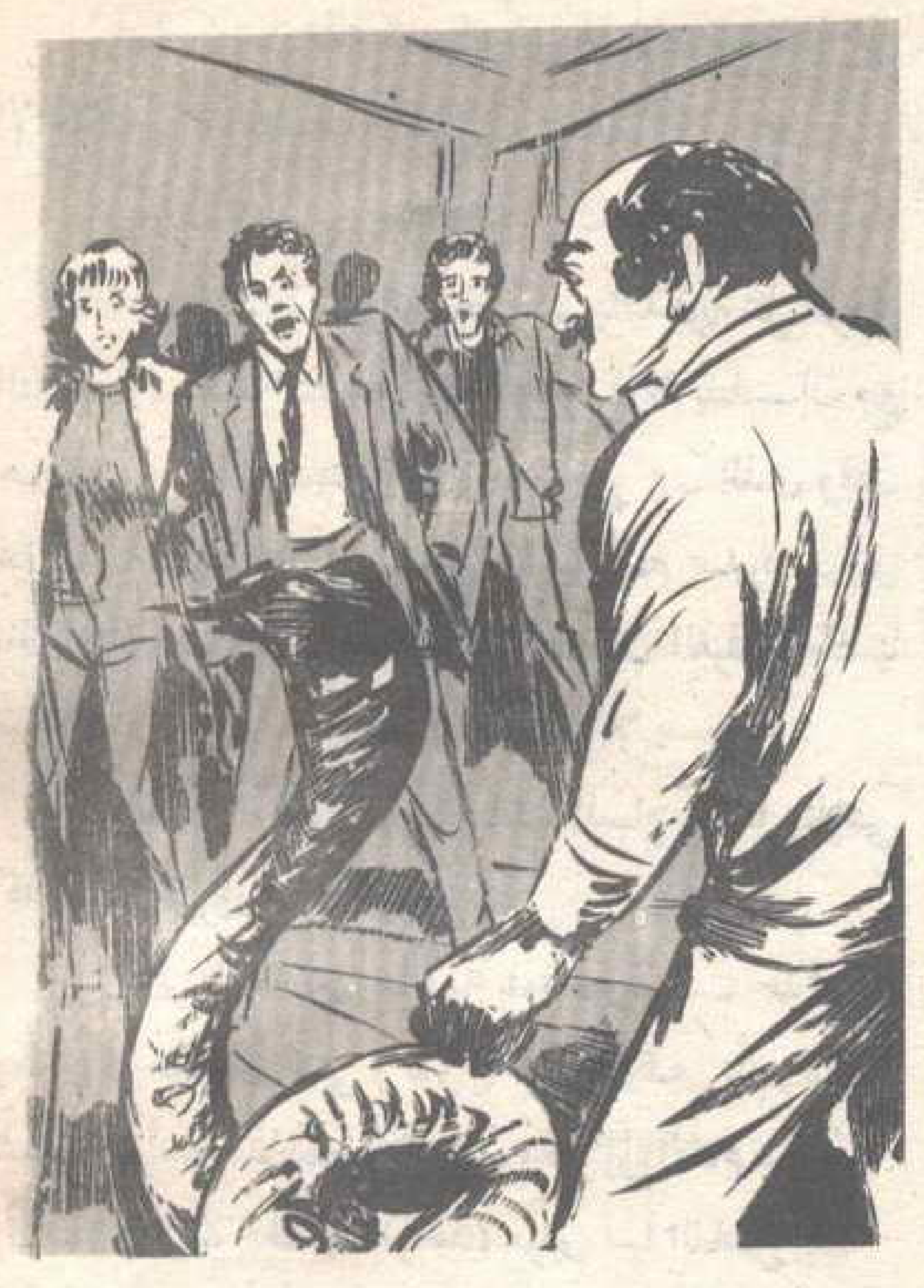
— اطمئن أيها الشاب .. لن أمسّكم بسوء .. ستتولّى رفيقتى هذه ذلك .

تنبه الجميع فى تلك اللحظة ، إلى وجود حيَّة ضخمة من نوع الكوبرا فى فراغ الغرفة ، تفتح فكّيها عن آخرهما ، ويتحرّك لسانها الرفيع بشراسة بين أنيابها جيئة وذهابًا ، وهى تتقدّم نحوهم ..

اتسعت عيونهم ذعرًا ، وازداد تقهقرهم ، على حين واصل الرجل الضخم تقدمه ، غير مبال بالحيَّة الضخمة ، وهو يقول :

— تُرى ، هل يعلم أحدكم أن لدغة واحدة من أنياب الكوبرا قادرة على قتل حصان قوى ، وأنها تتميَّز عن باقى الثعابين بسرعتها الفائقة فى الانقضاض على خصمها ، وأنه من المستحيل تقريبًا أن ينجو أحد من براثنها .

وفجأة اختفى الذعر من عينى (سلوى) ، وتهلّلت أساريرها ، فى نفس اللحظة التى سمع فيها الرجل الضخم صوتًا هادئًا إلى حدّ البرود ، يقول من خلفه :



تنبه الجميع فى تلك اللحظة ، إلى وجود حيَّة ضخمة من نوع الكوبرا فى فراغ الغرفة ، تفتح فكّيها عن آخرهما ..

ـــ أية كوبرا هذه ؟ .. إننـــى لا أرى شيئـــا على الإطلاق .

***

كان لهذه العبارة مفعول شحنة كهربيائية قوية على الرجل الضخم ، فقد استدار بخفة وسرعة لا يتناسبان مع حجمه ، وحدَّق بدهشة فى وجه (نور) ، الذى وقف على باب الغرفة هادئًا ، عاقدًا ذراعيه أمام صدره .. وفى الحال اختفت الحيَّة الضخمة من منتصف الغرفة ، وكأنها تبخَّرت فى الهواء ، وابتسم (نور) قائلًا بسخرية :

ـــ عجبًا !! أين ذهب ثعبانك السام .. هل تلاشى كقدرتك على إيهام الآخرين .

زَوَى الرجل ما بين حاجبيه بقوة ، وضاقت حدقتاه ، وهو يركز عينيه فى عينى (نور) ، الذى شعر بألم وصداع شديد فى رأسه ، فاستجمع قوته ، وقفز إلى الأمام صائحًا :

ـــ لا تفيد الخدعة الواحدة مرتين أيها الفاشل .

وبكل ما يمتلك من قوة ، وجه لكمة عارمة إلى فك

الرجل ، الذى ترنح بشدة ، ثم استعاد توازنه بسرعة ، إلَّا أن (نور) جذبه من سترته قائلًا بقسوة :

ـــ لم يعد بإمكانك خداع أحد أيها الوغد .

وبسرعة لَكَمَ الرجل (نور) فى صدره ، ولدهشة الجميع ، سقط (نور) أرضًا وهو يتأوَّه ، برغم أن اللكمة لم تكن بهذه الشدة .. واندفع الرجل يغادر المكان ، وقفز (رمزى) محاولًا منعه ، إلَّا أن (نور) قفز من مكانه فى هذه اللحظة ، فاصطدم بـ (رمزى) ، وسقط كلاهما أرضًا ، مما سمح للرجل بالهرب .

صاح (رمزى) بيأس :

ـــ ربَّاه !! لقد أعقتنى أيها القائد .. كان بإمكانى إلقاء القبض عليه .

ابتسم (نور) وقال :

ـــ لقد كان ذلك متعمَّدًا يا صديقى .

نظر إليه (رمزى) بدهشة ، وقطَّبت (سلوى) حاجبيها فى حيرة ، على حين هتف (محمود) :

— ماذا تعنى بذلك أيها القائد ؟

أجابه (نور) بهدوء ، وهو ينفض ملابسه :

— كان من الضرورى أن أسمح لهذا الرجل بالهرب يا رفاق .. لقد تعمَّدت أن ألصق بملابسه جهازًا صغيرًا للغاية من أجهزة الإرسال ، عندما جذبته متعمِّدًا من سترته .

صاحت (سلوى) :

— ولكن لماذا يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

— لكى تستعرضى قليلًا من مهارتك فى الاتصالات والتتبُّع يا عزيزتى .. ثم إن هذا الرجل هو الخيط الوحيد الذى سيقودنا إلى السيدة (شريفة زهير) ، فلابدَّ أن تنتهى هذه المأساة .

***

٩ — الضحيَّة القاتلة ..

جلست السيدة (شريفة زهير) بجسدها الضئيل فى مقعد ضخم ، كاد أن يخفيها عن الأنظار ، وهى تتطلَّع من خلال نافذة زجاجية تميل إلى الزرقة ، إلى الأمواج المتلاطمة فى البحر .. كانت ساكنة إلى حدّ يصعب معه الجزم ببقائها على قيد الحياة ، وفوق شفتيها ابتسامة مريرة ، تجمع بين الحقد والأمل ..

واستدار رأسها الصغير ببطء ، دون أن تختفى ابتسامتها الجامدة ، عندما صك مسامعها صوت خطوات ثقيلة تقترب .. وما أن وقع بصرها على صاحب الخطوات ذى الجسم الضخم ، حتى تحوَّلت ابتسامتها إلى الحنان البالغ ، وهمست بإشفاق وحبّ :

— ولدِى ..

تقدَّم منها الرجل ، وركع تحت قدميها ، فمدَّت كفَّها الصغيرة ، تداعب رأسه الضخم بحنان ، وهى تقول :

— هل أتممت انتقامنا يا ولدى ؟

رفع الرجل الضخم رأسه إليها ، وقال بأسف :

— كلَّا يا والدتى .. لقد هاجمنى أحد هؤلاء الشبان .. إن لكماته قوية للغاية يا أمّاه .

ظهر الغضب والحقد على وجهها ، وهى تقول :

— تبًّا لهؤلاء الشبان المتطفلين .. لماذا يقفون بيننا وبين إتمام رسالتنا .. لا بدَّ من القضاء على المستشار (فؤاد) .. إنه آخر المجرمين .. لا بدَّ من أن يلقى مصرعه كالآخرين .

وفجأة تسمَّرت الدماء فى عروقها ، وارتعدت أطرافها ، فقد سمعت صوت (نور) الهادئ وهو يقول :

— خطأ يا سيدة (شريفة) .. لقد أضعت من عمرك عشرين عامًا فى فكر خاطئ .

استدارت (شريفة) بحدَّة ، تتطلَّع إلى (نور) وأفراد فريقه ، الذين يقفون على عتبة الغرفة ، وقفز الرجل الضخم واقفًا على قدميه ، وهو يحدِّق فيهم بغضب ، ولم تلبث عيناه أن برقتا ببريق عجيب .. وهنا اختطف (نور) جهازًا

مكعبًا صغيرًا من يد (سلوى) ، وضغطه بين راحتيه بقوة ..

وفجأة صرخ الرجل الضخم ، وأمسك رأسه بكفَّيه ، واتسعت عيناه ذعرًا ، وأخذ يحدِّق فى الفريق بدهشة وحنق ..

وهنا أرخى (نور) راحتيه ، وابتسم بهدوء قائلًا :

— لا شك أنك قد لاحظت عدم جدوى قواك العقلية الخارقة ، التى أمضيت عمرك كله فى إجادتها ، أمام جهاز صغير يطلق الموجات الصوتية فائقة التردد .

ثم ابتسم ، وتابع بهدوء :

— حتى الموجات العقلية تشتتها الموجات فائقة التردد يا صديقى (رسيم) ، حسبما أثبتت الأبحاث القديمة عام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين .

تطلَّع إليه الرجل الضخم ، والسيدة (شريفة) بذهول ، وتمتم الرجل الضخم :

— كيف عرفتنى ؟ ..

صاحت به السيدة (شريفة) بجزع :

ـــ اصمت أيها الغبىّ .. إنهم يوقعون بك .

أخذ الرجل الضخم ينقل بصره بينها وبينهم فى حيرة ، إلى أن قال (نور) بهدوء :

ـــ مطلقًا يا سيدة (شريفة) .. ربما تظنان أنكما منتقمان جبّاران ، ولكنكما فى الواقع ضحيّتان .. ضحيّتان للعبة قذرة ، كان بطلها وضحيتها الأولى هو (قسيم الأعور) .

احتقن وجه (شريفة) ، وهى تهتف بغضب :

ـــ صهْ أيها الكاذب المخادع .. لقد كان (قسيم) من أعظم الرجال وأشرفهم .

صاح (نور) فى وجهها بغضب :

ـــ الأشراف لا يقتلون يا سيِّدتى .. الأشراف لا يخونون الدولة التى احتضنتهم .

صرخت (شريفة) بغضب عارم :

ـــ اخرس .

اتسعت عينا الرجل الضخم حيرة ، وهو يقول :

ـــ أخبرونى ماذا يحدث بالله عليكم ؟

نظر إليه (نور) بحنان ، وقال :

ـــ سأخبرك بكل شىء يا سيِّد (رسيم) .. سأخبركم بحل هذا اللُّغز المعقَّد العجيب .

***





اتسعت عينا الرجل الضخم حيرة ، وهو يقول :
ــ أخبرونى ماذا يحدث بالله عليكم ؟!

١٠ ــ الخدعة المزدوجة ..

انتظر (نور) حتى هدأ الجميع ، والتقت نظراتهم عنده بمزيج من الفضول والقلق ، ثم بدأ تفسيره قائلاً :

ــ تنقسم هذه القضية إلى قسمين يا سيدة (شريفة) : يتعلَّق أولهما بحياة (قسيم الأعور) ، والثانى بحياتك وحياة المسكين (رسيم) .. ومعذرة إذا اضطرتنى الظروف إلى تفسير القسم الثانى قبل الأول ، وإلا اختلطت الأمور فى أذهانكم جميعًا .

صمت (نور) لحظة ليتأكَّد من أن الجميع يصغون إليه ، ثم تابع قائلاً :

ــ لقد بدأ انتقامك منذ عشرين عامًا يا سيدة (شريفة) .. لقد رسمت الخطة بأكملها فى ذهنك ، فى نفس اللحظة التى علمت فيها أن مولودك ذكر .. فى نفس ذلك اليوم تم إعدام زوجك الذى كنت تحبينه ، وتثقين به إلى

درجة الإيمان ، وفى عقلك المريض كان لا بدَّ من الانتقام .. ولكنك امرأة صبورة للغاية وذكية للغاية .. لقد ادَّعيت أن ولدك (رسيم) قد لقى حتفه بعد ثلاثة شهور من مولده .. بل وقدمت إلى الطبيب الذى وقع شهادة الوفاة جثة طفل فى نفس العمر .. وهكذا أصبح (رسيم) ابن (قسيم الأعور) ميتًا فى نظر المجتمع والسجلات الرسمية .

تمتم (رسيم) بحنق :

ــ يا لك من ذكى !!

تجاهل (نور) هذا التعليق ، وتابع قائلًا :

ــ وبهذا أصبحت الخطة على قيد التنفيذ ، وقرَّرت إرسال (رسيم) إلى الهند ، ليتعلَّم كيف يستخدم ويجيد قدرة الوهم الخارقة ، التى ورثها عن والده ، وظل هناك حتى بلغ مبلغ الرجال ، وعاد إلى هنا قبيل عيد ميلاده العشرين بأيام قليلة .. ولقد كنت تواصلين تغذيته بروح الانتقام والحقد طوال سنوات عمره ، حتى لم يعد لديه من هدف فى حياته ، سوى إجادة القدرة على الوهم والانتقام من قتلة أبيه ، الذى لم يره يومًا واحدًا فى حياته .

ازدرد (نور) ريقه ، ثم استطرد مكمِّلًا :

ــ وفى يوم الاحتفال بعيد مولده العشرين ، والذى يوافق ذكرى إعدام والده ، بدأ المسكين رحلة العذاب والانتقام المستمر من أشخاص لم يرهم فى حياته مطلقًا ، مستغلًّا قواه العقلية الفائقة ، لإيهام ضحاياه برؤية الجسد الذى يحمل عيون الهلاك البراقة ، وللسيطرة على عقولهم ، حتى تصاب قلوبهم بالسكتة القلبية ، وكاد أن يتم انتقامه فى صمت وسكون ، لولا أن نجا المستشار (فؤاد المصرى) من القتل بواسطة زوجته الطبيبة ، وبدأت رحلة أخرى للتخلُّص منه ومنا .

قالت (شريفة) بصوت أجش مرتعد :

ــ كيف توصَّلت إلى كل ذلك ؟

تمتمت (سلوى) بفضول :

ــ كدت أسأل نفس السؤال .

ابتسم (نور) ، وهزَّ كتفيه قائلًا :

ــ كان لدىَّ القليل من الحقائق ، والكثير من الخيال لربط هذه الحقائق بعضها ببعض .. كان لدىَّ رجل رأى

بعينه (قسيم الأعور) داخل منزلك فى الإسكندرية ، وما حدث داخل منزلك ، والذى يؤكد وجود شريك لك فى هذا المعمل ، وخصوصًا تلك الحركة البارعة التى أوهمنا فيها (رسيم) باختفائك .. ولمَّا كنت قد تعرَّضت بنفسى إلى قوى (رسيم) العقلية ، فلم يكن هناك مجال لإنكارها .. وهنا كان لابدَّ من ترتيب الأمور بشكل يعترف بوجود القوة العقلية الخارقة ، ولا يعترف بعودة (قسيم الأعور) إلى الحياة ، وكان هذا التفسير الذى ألقيته على مسامعكم هو ما يجمع بين الطرفين ، ويجعل كل ما حدث حتى الآن منطقيًا مقبولًا .

استرخت السيدة (شريفة) فى مقعدها ، وقالت :

— لم يعد هناك ما يهمنى بعد أن حققت انتقامى أيها الشاب .. سيرتاح زوجى الحبيب الآن فى قبره .

مطَّ (نور) شفتيه بامتعاض ، وقال :

— لقد أعماك الانتقام حتى نسيت أن ابنك هو ضحيَّته الأولى ، وأنك أنت ضحيَّته الثانية .

صرخت بغضب :

— ابنى رجل شهم .. لقد انتقم لأبيه ، وحقَّق حلم العشرين عامًا الماضية ..

أشاح (نور) بذراعه فى غضب ، وهو يقول :

— مسكينة يا سيدة (شريفة) .. لقد أضعت عمرك ومستقبلك وابنك ، من أجل الثأر لـ (قسيم الأعور) ، دون أن تتصوَّرى يومًا أنه لم يكن سوى جاسوس أجنبى حقير .

* * *

ساد الصمت التام فى أنحاء الغرفة ، وتدلَّت فك (رسيم) وهو يحدِّق فى وجه (نور) بذهول ، على حين جحظت عينا الأرملة ، وأخذت تلوِّح بكفِّها أمام وجهها بذعر ، وكأنما تحاول طرد عبارة (نور) المؤلمة .. وأخيرًا صاحت بصوت شاحب متحشرج :

— أنت .. أنت كاذب .. لقد كان (قسيم) من أشرف الرجال .

هزَّ (نور) رأسه بأسف ، وقال :

ـ مسكينة يا سيدة (شريفة) .. لقد أضعت أجمل سنوات عمرك ، فى الإعداد للثأر من أجل خائن ، لا يستحق لحظة واحدة من حياتك .

انسالت الدموع من عينى (شريفة) ، وهى تقول :

ـ كلَّا .. كلَّا .. أنت كاذب مخادع ..

استمر (نور) غير مبال بمقاطعتها :

ـ عندما قمت بدراسة قضية زوجك (قسيم الأعور) ، أثار انتباهى بشدة كونه يمتلك عينين كاملتين برغم لقبه ، ثم لاحظت أن عينيه تبرقان بالفعل فى الصور ، ولكن أحدهما تبرق ببريق أشد ، وعلمت أنه أجنبى من أصل هندى ، وربما يبرر ذلك اكتسابه لقدرة العقل الخارقة على الوهم ، والتى يشتهر بها فقراء الهنود .. وأدهشنى جدًّا وجود قبره خاليًا إلَّا من بطاقة تؤكد أنه عاد لينتقم .

نظرت إليه الأرملة بدهشة ، وقالت :

ـ أية بطاقة ؟

تمتمت (سلوى) بسخرية :

ـ يا لك من مخادعة !! إنها تلك البطاقة التى وضعتموها فى قبره ، لإيهامنا بأنه قد عاد إلى الحياة .

تطلَّعت إليها الأرملة وقد زادت دهشتها ، إلَّا أن (نور) قال لزوجته بهدوء :

ـ مهلًا يا عزيزتى (سلوى) .. إن السيدة (شريفة) لا تدرى شيئًا عن هذه البطاقة .

نظر (رمزى) و (محمود) و (سلوى) إلى (نور) بدهشة ، ولكنه استطرد بهدوء :

ـ لقد أدهشنى وجود هذه البطاقة فى البداية ، برغم السرِّيَة التامة التى جرت بها الأحداث .. فلولا جسد المستشار (فؤاد المصرى) الرياضىّ ، ولياقته العجيبة فى سنّه هذه ما كتبت له الحياة ، بعد أن هاجمه (رسيم) بقوة الوهم فى ممر منزله ، ولظل الانتقام سرًّا لا يعلم به أحد .. فلماذا إذن وضعت هذه البطاقة ؟ ولماذا تجشَّم بعضهم العناء ، وعرَّض نفسه للخطر ، من أجل سرقة جثمان رجل ميت ؟

قالت (سلوى) بحنق :

ــ هل تحاول تفسير اللُغز ؟ أم أنك تضع أمامنا مزيدًا من الألغاز يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ مطلقًا يا عزيزتى .. لقد أردت فقط أن أفسّر لكم الطريقة التى توصَّلت بها إلى حلّ اللُغز .

ثم تطلّع إلى الجميع ، وهو يردف قائلًا :

ــ لقد توصَّلت إلى التفسير الصحيح ، بمجرد معرفتى أن الرجال الخمسة الذين قتلهم (قسيم) ، كانوا ضباطًا فى البحرية المصرية .. لماذا اختار هذه الفئة ؟ .. باختصار .. لأنهم كانوا يمتلكون بعض الأسرار الحربية ، التى قام هو بتصويرها ، وعندما كشفوا ذلك لم يكن أمامه من مفرّ سوى التخلُص منهم .. ولأنه كان يمتلك فعلًا قوى خارقة ، فقد حاول إبعاد تفكير المحققين عن تجسُّسه بالتظاهر بالجنون ، وبممارسة الشعائر الشيطانية .. كان يتصوَّر أنه قد ينجو من الإعدام بسبب ذلك ، ولكنه لقى مصيره العادل .

قطَّب (محمود) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ ولكنه حين ألقى القبض عليه بعد قتلهم مباشرة ، لم تكن معه أية آلات للتصوير .

ابتسم (نور) وهو يقول :

ــ خطأ يا صديقى .. لقد كانت معه آلة تصوير عسيرة الكشف .

ثم أشار إلى عينه قائلًا :

ــ هنا !!

صاح (رمزى) بدهشة :

ــ يا إلهى !! هل تعنى ؟ ..

قاطعه (نور) قائلًا :

ــ نعم يا عزيزى (رمزى) ، لقد كان (قسيم) أعور بالفعل ، وما تلك العين السليمة إلا كاميرا تصوير دقيقة صعبة الكشف ، ولكنها للأسف ولسوء حظه بسبب طبيعتها الصناعية ، تعكس الضوء بأكثر مما تفعل العين الطبيعية ، وهذا ما يجعلها تبدو فى الصور أكثر تألقًا .

أشاحت الأرملة (شريفة) بذراعها ، صائحة فى جزع :

ـ مستحيل !! مستحيل !!

مطَّ (نور) شفتيه أسفًا ، وقال :

ـ إنه صحيح للأسف يا سيِّدتى .. لقد استغلت إحدى المخابرات المعادية لنا منذ عشرين عامًا ، قدرة (قسيم) الفريدة ، وجنَّدته بين صفوفها ، ولقد استجاب هو لها بسبب المال ، أو حبَّ المغامرة ، وحين تزوجك حافظ على السِّر ، ولم يخبرك به ، حتى أنك ظللت مؤمنة ببراءته حتى آخر لحظة .

صاحت (سلوى) بفضول عارم :

ـ أين اختفت جثته إذن يا (نور) ؟ ومن صاحب هذه البطاقة ؟

ابتسم (نور) لفضولها الواضح ، وقال :

ـ لقد اختفت جثته منذ عشرين عامًا يا عزيزتى .. لقد تم إعدام (قسيم) ودفنت جثته ، وهى تحوى عينه

الصناعية ، أو بمعنى أدق آلة التصوير الخفيَّة التى تشبه العين .. ولمَّا كان من الضرورى للمخابرات المعادية الحصول على الفيلم الموجود بداخل آلة التصوير ، فقد قاموا بسرقة الجثة ، واستغلُّوا تهديده بالعودة إلى قيد الحياة ، ووضعوا هذه البطاقة ، حتى يثيروا البلبلة إذا ما فكَّر أحد فى التأكد من وجود الجثة .

قال (رمزى) بدهشة :

ـ هل تعنى أن هذه البطاقة الفسفورية ، قد انتظرتنا عشرين عامًا ، حتى وجدناها فى هذه الظروف ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح يا (رمزى) ، وتذكَّر أن قبر (قسيم) ما كان ليفتح ، لولا حادث المستشار (فؤاد) .

سمع الجميع فى هذه اللحظة صوت الأرملة تقول :

ـ لا يمكننى أن أصــدِّق ذلك .. لا يمكننى أن أصدِّق .

ولكن دموعها التى أغرقت وجهها ، وذبول صوتها ، وتهدُّل كتفيها ، كان أكبر دليل على أنها قد صدَّقت ما قاله

(نور) .. وهنا اقترب منها (رمزى) ، وربَّت على كتفها قائلًا :

ــ أعلم يا سيِّدتى بحكم تخصُّصى كطبيب نفسى ، أنه من الصعب على الإنسان أن يقنع بأن ما وهب حياته من أجله مجرد وهم ، ولكن ...

وفجأة قاطعه صياح (رسيم) الهادر ، وهو يقول :

ــ كلَّا .. كلَّا .. إن والدى مات شريفًا .. لقد قتله هؤلاء القضاة المجرمون .. إنه لم يكن جاسوسًا .. لم يكن جاسوسًا .

قال (نور) ببرود :

ــ لا فائدة من إنكار ذلك يا (رسيم) .. إنهـــا الحقيقة .

صرخ (رسيم) بصوت هائل :

ــ لا .. لا ..

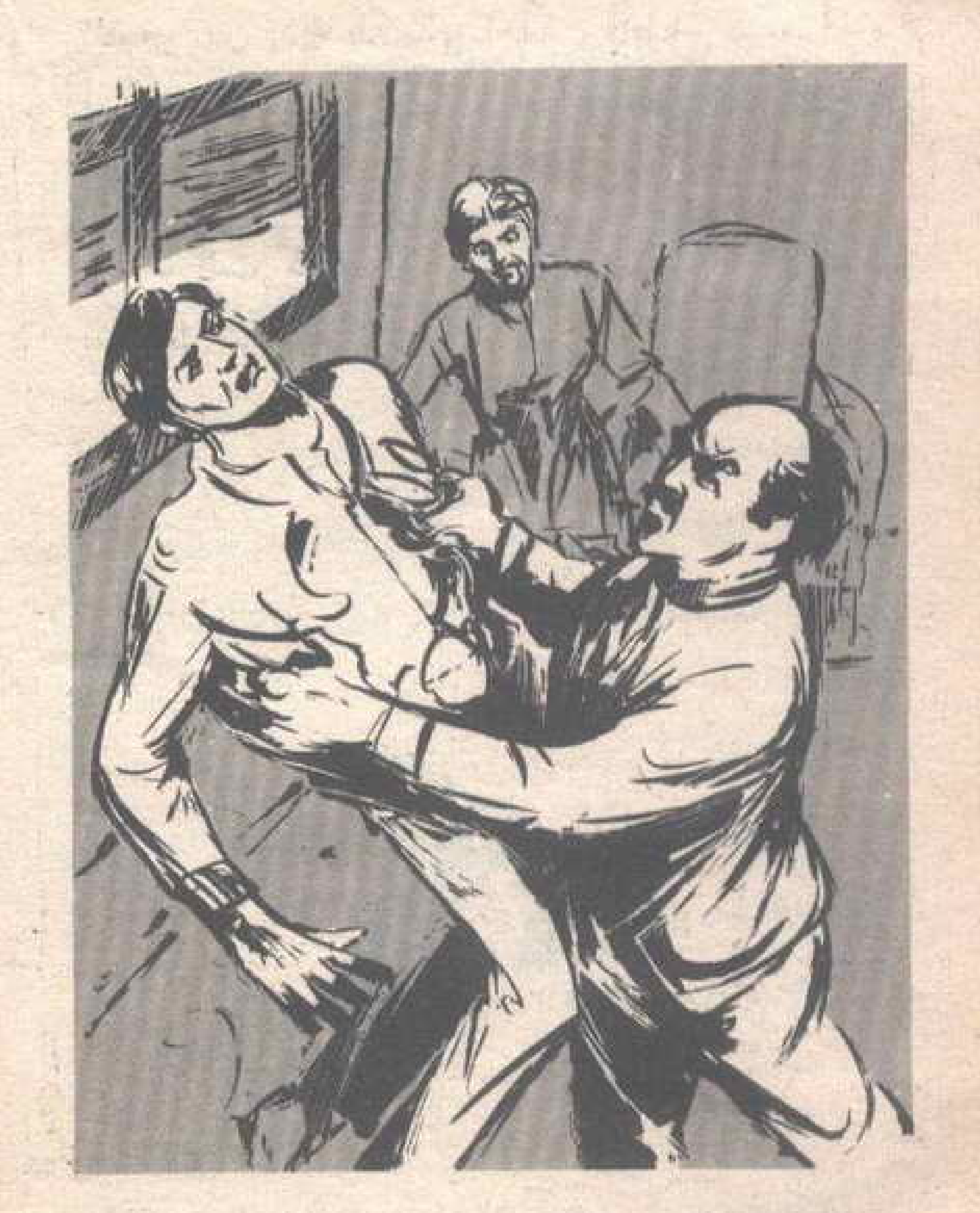
وقبل أن يدرك أحدهم ما يعتمل فى نفسه ، انقض (رسيم) بسرعة مذهلة على (نور) ، وضرب المكعب

الصغير بين يديه بلكمة ساحقة ، فأطاح به بعيـدًا ، ثم أمسك (نور) من سترته ورفعه إلى أعلى كالريشة ، وهو يزمجر بجنون :

ــ أنت كاذب أيها الشرطىّ .. لابدَّ من الانتقام .. سأقتلك شرَّ قتلة .

* * *





ثم أمسك (نور) من سترته ورفعه إلى أعلى
كالريشة ، وهو يزمجر بجنون ..

١١ ــ عقل وجسد ..

حاول (نور) أن يتحرَّك بسرعة كافية ، فيلطم (رسيم) على عنقه بأقصى قوة ، ولكن (رسيم) دفعه بذراعين فولاذيَّتين ، فارتطم بالحائط ، وشعر بدوار قوىّ .. ولم يكد ينهض على قدميه حتى طالعته عينا (رسيم) تبرقان بريقًا مخيفًا ، وقد تجلَّت على وجهه أبلغ علامات الغضب ..

وقبل أن يخطو (نور) خطوة واحدة ، سمع صرخة قوية من (سلوى) ، فالتفت إليها بجزع ، وهاله أن رآها تضم كفَّيها على رأسها ، وتضغط جفنيها بقوة وألم ، وهى تتأوَّه ، ثم رآها تسقط على الأرض فاقدة الوعى ، وتبعها (محمود) بجسده الضعيف ، على حين ترنَّح (رمزى) .. وشعر (نور) فى تلك اللحظة وكأن رأسه بين مطرقة وسندان ، وبألم شديد فى أطرافه .. كان يعلم أن الغضب قد أطلق

قوة (رسيم) العقلية بأقصى طاقاتها ، وأنه بهذه الحالة قادر على قتل الفريق بأكمله ، وها قد سقطت (سلوى) ، وسقط (محمود) و (رمزى) ، ولم يعد هناك سواه .. شعر فى تلك اللحظة أنه أمل الفريق الوحيد فى النجاة ..

جمع (نور) كل ما تبقَّى من قواه ، واستجمع إرادته القوية فى لكمة واحدة وجهها إلى فك (وسيم) ، الذى ترنَّح ، وفقد تركيزه لحظات .. شعر (نور) خلالها بوعيه يعود إليه دفعة واحدة ، وبآلامه تتلاشى فجأة ، ولم يشأ إضاعة الفرصة ، فقفز إلى الأمام ، وأطلق قبضته اليسرى فى فك (رسيم) ، ولكن هذا الأخير تلقَّاها فى راحته القوية ، ثم حدَّق بعينيه البراقتين الشرستين فى عين (نور) مباشرة ..

شعر (نور) بآلامه المبرحة تعود ، وبعينيه تكادان تقفزان من محجريهما ، فدفع كل ما فى صدره من هواء إلى حنجرته ، وأطلق صرخة قوية ، من تلك الصرخات المعروفة فى رياضيات الدفاع عن النفس ..

كان تقدير (نور) سليمًا ، فقد شتَّتت الصرخة تفكير (رسيم) جزءًا من الثانية ، ففقد سيطرته على عقل (نور) ، واندفع ذراع (نور) كالقنبلة ، ليرتطم مرفقه بأنف (رسيم) الذى تهشَّم ، وسالت منه الدماء ..

تراجع (رسيم) وهو يتأوَّه بألم ، وقد فقد تمامًا سيطرته العقلية ، وأسرع (نور) يسحب مسدسه الليزرى وَوَجهه نحوه ، ولكنه تلقَّى فى تلك اللحظة ضربة قوية على مؤخرة عنقه ، أظلمت الدنيا بعدها أمام عينيه ، وفقد وعيه .

***

أغلقت الأرملة (شريفة) عينيها ، بعد أن ضربت (نور) بالمكعب المعدنى على مؤخرة عنقه ، وتمتمت بألم :

— لن أسمح لك بقتل ولدى أيها الشاب .

صاح (رسيم) بغضب ، وهو يحاول منع الدم المتدفِّق من أنفه :

— سأقتله .. سأقتلهم جميعًا يا أمَّاه .

قالت (شريفة) بهدوء :

ــ إنك لن تقتل أحدًا بعد الآن يا (رسيم) .

صاح (رسيم) بغضب :

ــ بل سأقتلهم جميعًا يا أمّاه .. سأنتقم لأبى .

صرخت الأرملة بعصبية :

ــ لقد قلت إنك لن تقتل أحدًا بعد الآن .

تطلّع إليها (رسيم) فى حيرة ، وقال :

ــ ولكن يا أمّاه .. والدى ..

اقتربت منه بخطوات متخاذلة ، وأحاطت جسده الضخم بذراعيها الرقيقتين فى حنان ، وهى تقول :

ــ والدك لا يستحق هذا الانتقام يا ولدى ..

وانسالت الدموع من عينيها ، وهى تقول :

ــ سامحنى يا ولدى .. لقد حطّمت حياتك برغبتى العارمة فى الانتقام .. لقد حوّلتك إلى وحش بشرى .

زاغ بصر (رسيم) من شدة حيرته ، وهو يتمتم :

ــ ولكن يا أمّاه .. ولكن ....

مدّت كفّها تداعب رأسه ، قائلة بحنان :

ــ كفى يا ولدى .. إن والدك لم يكن طيّبًا كما كنا نتصوّر .. لقد كان شريرًا .. شريرًا جدًّا .. لقد خدعنا حقًّا .

تطلّع (رسيم) إليها ، وقد بلغ منه الجزع مبلغه ، فى نفس اللحظة التى بدت فيها من جسد (سلوى) حركة ، تنم عن قرب استيقاظها ، وتأوّه (رمزى) ، وهو يحاول النهوض معتمدًا على ذراعيه .. فتطلّع إليهما (رسيم) بقلق ، ولم يلبث أن ضاقت عيناه ، وزوَى ما بين حاجبيه من غضب .. كان من الواضح أنه قد حسم أمره ، وتغلّب على حيرته ، وفوجئت به أمّه يدفعها بعيدًا ، ويصيح بلهجة أقرب إلى الجنون :

ــ لا .. لا .. والدى لم يكن شريرًا .. أنت أيضًا مخادعة يا أمّاه .. لا بدّ من قتل الجميع .. لابدّ من الانتقام لوالدى .. لا بدّ من قتلهم جميعًا .

ثم أسرع ينتزع مقعدًا ضخمًا ويندفع نحو (سلوى) ، التى فتحت عينيها على هذا المشهد المرعب فاحتبس صراخها

فى حلقها من شدة الفزع ، وجحظت عيناها حتى كادتا تخرجان من محجريهما ، وهى تشاهد (رسيم) بجسده الضخم ، يرفع المقعد بطول ذراعيه ، استعدادًا لتهشيم رأسها ..

وبرعب صاحت أمه :

— لا يا (رسيم) .. لا يا ولدى .. لا مزيد من العنف .

صرخ (رسيم) بغضب جنونى :

— لا .. لا بدَّ من قتلهم جميعًا .. جميعًا .

وبرقت عيناه بشراسة وهو ينظر إلى (سلوى) ، المنكمشة على نفسها برعب ليس له مثيل ، وصرخت والدته لآخر مرة :

— لا يا ولدى .. أرجوك .

وفجأة شقَّ فراغ الغرفة شعاع أزرق اللون ، له صوت خافت كالفحيح ، مرق من خلال جبهة (رسيم) ، ودفع بالدماء الساخنة من مؤخرة جمجمته ..

ترنح (رسيم) بجسده الضخم ، وقد تصلَّبت عيناه ، وصرخت أمه بجزع ولوعة ، قبل أن يسقط هو على ظهره كجلمود صخر .

أخفت الأم وجهها بين كفَّيها ، وانخرطت فى بكاء حار ، على حين نهض (نور) بضعف وأسى ، وقال بصوت ينمّ عن الأسف البالغ :

— لم يكن أمامى سوى ذلك .. كان يشبه وحشًا هائجًا .. لم تكن لدىَّ القوة الكافية لمنعه .. كان قادرًا على تحطيمنا وقتلنا جميعًا فى ثورة غضبه .. أليس كذلك ؟.

أسرع (رمزى) نحوه قائلًا :

— بالطبع يا (نور) ، بالطبع .

رفعت (شريفة) رأسها ببطء ، وبدا وجهها للجميع مغمورًا بالدموع ، وهى تقول :

— لا تلم نفسك أيها الشاب .. أنا التى قتلت ابنى .. لقد قتلته منذ عشرين عامًا وليس الآن .. قتلته منذ اللحظة التى قرَّرت فيها أن أجعل منه أداة انتقامى .. لقد قتلته أنا .

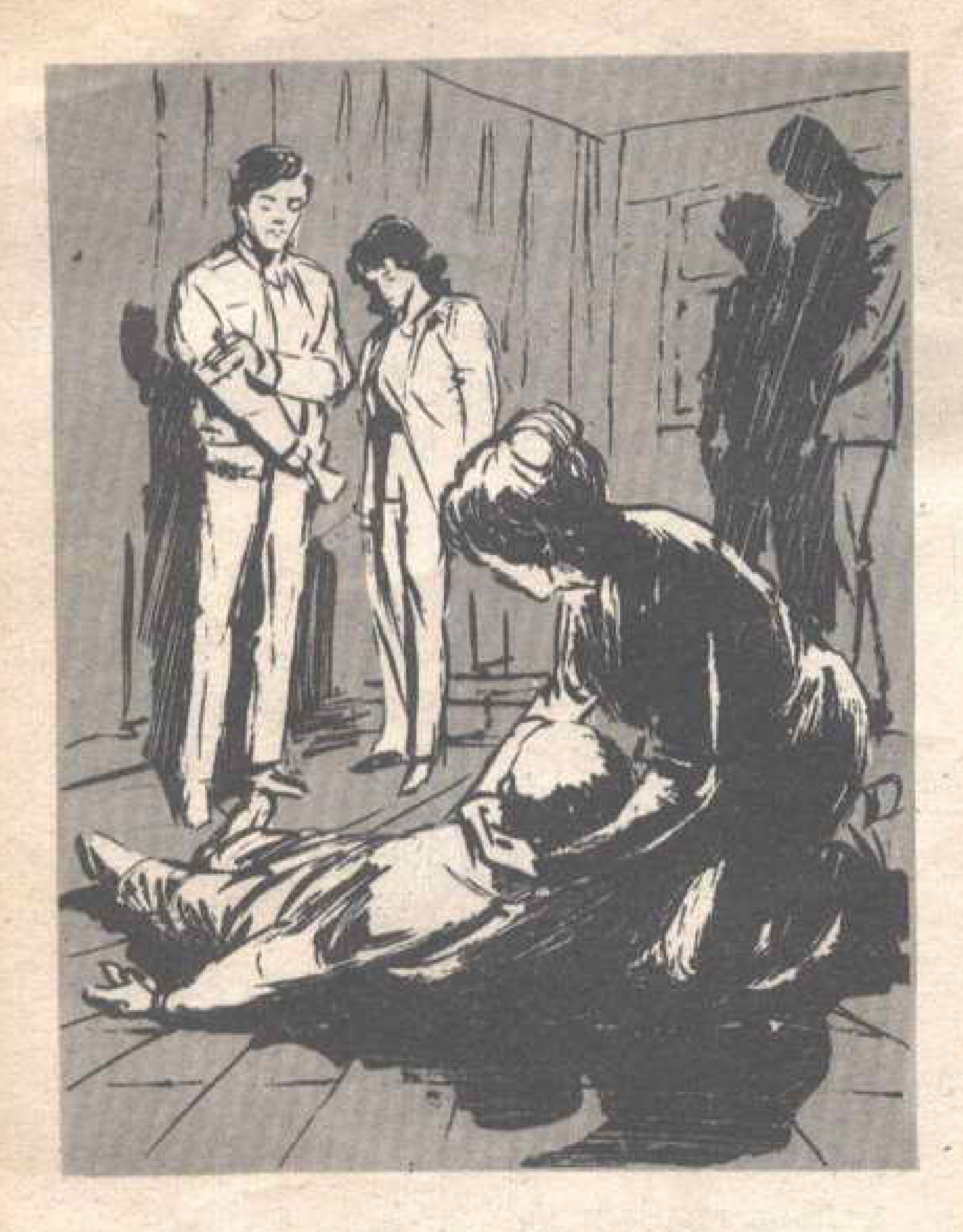
ثم انفجرت ببكاء حار ملتاع ، أذاب قلوب الجميع ، فقال (رمزى) بأسف :

ـ بل قتلته فى تلك اللحظة فقط ، عندما حطَمت فى عبارة واحدة كل ما عاش من أجله طوال العشرين عامًا الماضية .. لقد صنعت منه آلة دمار بهدف واحد .. الانتقام لوالده .. ثم أتيت بعد أن اكتملت الآلة ، ونفَذت مهمتها ، لتعترفين أن هذا الانتقام لم يكن له ما يبرره .

تطلَعت (شريفة) إلى جثمان ابنها المسجى ، ثم رفعت رأسها نحو أفراد الفريق وبالذات نحو (نور) ، الذى خفض عينيه بألم ، وقالت ببطء :

ـ ربما كان من حسن حظه أن لقى مصرعه هنا أيها السادة .. فلا أعتقد أن ابنى كان سيتحمل عذاب محاكمته بتهمة قتل رجال القضاة الثلاثة .

ثم رفعت رأسها بكبرياء ، ومدَت يديها إلى الأمام ، وهى تستطرد قائلة :



تطلعت (شريفة) إلى جثمان ابنها المسجى ، ثم رفعت رأسها نحو أفراد الفريق وبالذات نحو (نور) ..

ـ هيًا يا رجال الشرطة .. قوموا بعملكم .. هأنذا تحت أمركم .. على استعداد تام للمحاكمة .

* * *



١٢ ـ الختام ..

ابتسمت (نشوى) الصغيرة ابنة (نور) و (سلوى) ، عندما داعبها والدها بدغدغة قدميها ، وحملتها (سلوى) بحنان ، وهى تقول :

ـ لقد كبرت (نشوى) ، وسرعان ما تصبح فتاة يانعة .

ابتسم (نور) قائلًا :

ـ مهلًا يا عزيزتى .. إنها بعد فى نهاية العام الأول من عمرها .

ضحكت (سلوى) وهى تحتضن ابنتها بسعادة ، وشرد (نور) لحظة ، فسألته بفضول :

ـ فيمَ تفكر يا (نور) ؟

ابتسم بأسَى وهو يقول :

ـ كنت أفكر فى عاطفة الأمومة ، وكم هى قوية رائعة .

ابتسمت هى بحنان ، ومسحت على شعره قائلة :

ــ لقد كنت تفكّر فى (شريفة) .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال بأسًى :

ــ كنت أفكّر كم هو قاسٍ ، أن يُقتل الابن أمام أمه .

تنهّدت بعمق قائلة :

ــ لم يكن أمامك سوى ذلك .. كنت بقتله تنقذ أرواحنا جميعًا .

عاد يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول :

ــ أعلم ذلك يا (سلوى) ، وأومن به تمامًا .. يكفينى قول الله سبحانه وتعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » .

ابتسمت براحة قائلة :

ــ يسعدنى أنك تفكّر دائمًا بهذا الأسلوب .

ثم تحوّلت ملامحها إلى الجدّية ، وهى تسأله :

ــ هناك أمر ما زال يحيّرنى حقًّا ، بعد انتهاء هذه المغامرة .

ابتسم وهو يسألها :

ــ وما هو يا ملكة الفضوليّين ؟

لم تبتسم لدعابته ، وإنما قالت باهتمام :

ــ لماذا لم يستغل (قسيم) قدرته على إحداث الوهم ، لإيهام رجال القانون بأنهم قد أعدموه فعلًا ، ثم يفرّ بجلده بعد ذلك .

هزّ (نور) كتفيه قائلًا :

ــ إنه الإحساس بالخطأ بلا شك .. أو الخوف هو الذى يمنعه من التركيز ، واستخدام قدرته بكل طاقتها .

ثم ابتسم بخبث ، وقال :

ــ ومن يدرى ؟ .. ربما هذا ما حدث بالفعل .

اتسعت عيناها ذعرًا ، وهى تقول :

ــ كُفّ عن هذه الدعابة الثقيلة بالله عليك يا (نور) ، إنك تثير خوفى .

أحاط كتفها بذراعيه فى حنان ، وقال :

— مهما كان يا عزيزتى .. فلقد أضافت هذه المغامرة درسًا إلى المجرمين والخونة .. فمهما طال الزمن ، سينال كل خاطئ جزاءه .. فالله سبحانه وتعالى يُمْهل ولا يُهْمل .

***

(تمت بحمد الله)

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ١٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة - تليفون: ٨٢٦٢٨٠

رقم الإيداع ٣٢١٥